الموسوعة الصغيرة



كتابان بين الجاحظ وجورج برنارد شو و جائزة نوبل

تأليف

الدكتور نوري جعفر



الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة

١٩٩٠

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

العراق ـ بغداد/اعظمية ص ـ ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق ـ بغداد/اعظمية ص.ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

كتابان

بين الجاحظ وجورج برنارد شو

و

جـائزة نـوبل

تأليف

الدكتور نوري جعفر

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغـداد



كلمة تمهيدية

- ١ -

قد يبدو - لأول وهلة - انتفاء وجود أية رابطة بين الجاحظ وجورج برناردشو اللذين تفصل بينهما فترة زمنية طويلة تتجاوز الالف سنة من جهة وبين المجتمع العربي الاسلامي أثناء العهد العباسي الذي ترعرع الجاحظ فيه وبين المجتمع البريطاني في هذا القرن الذي نعيش فيه • غير ان المتعمق بدراسة أدب الجاحظ وجورج برناردشو ومواقفهما المتماثلة من القضايا الكبرى الملحة في العصر والمجتمع الذي عاش فيه كل منهما يجد بينهما وشائج كثيرة وكبيرة ، كما يجد أيضاً صفات مشتركة الى درجة التماثل بين

عصر كل منهما والمجتمع الذي نشأ فيه رغم الاختلافات الكبيرة والكثيرة التي لا يهمنا أمرها في دراستنا هذه ورغم التناقضات الكبيرة والكثيرة التي تظهر بين حين وآخر في مواقف كل منهما ازاء قضايا عصره ومجتمعه الكبرى الآنيـة الملحّة التي تتلاشى ــ على ما نرى ــ عندما يقوم دارسو هذين الأديبين الفذّين بعملية تحليل تأريخي دقيق للكشف عن الملابسات التي رافقت كـل حالة منها على انفراد ، وينظرون الى تراثه الأدبي نظرة تطورية وبخاصة في مرحلة نضجه وفي مجمل نزعتـه الأدبية العامة في ضوء طبيعة الفترة التأريخية التي عاش فيها من حيث خصائصها العامة ومدى تغلغله في أعماقها واماطة اللثـام عن نزعته الفلسـفية ازاء الاشـخاص والاحـداث الاجتماعية البـارزة ، وعـن مقومـاته السـايكولوجية وانتمـاءاته السياسـية (الضمنيـة والصريحة) وروابطه الايديولوجية وحرارة مشـاعره وطبيعة أحكامه واستنباطاته كما يبدو ذلك في نتاجـه الأدبي المتكامل عند نضجـه وعند الكشف أيضـاً عن

مهارته الفنية وأصالته الأدبية وبراعته في الأداء في ضوء الاسلوب الامثل الشائع في زمانه مع ملاحظة دقة ألفاظه ورقتها وسلاسة تعابيره وسلامتها وغزارة ألفاظه وانسجامها في العبارات •

- ٢ -

هناك فترات تأريخية بارزة يمكن اعتبارها فترات تحول اجتماعي كبير في مجرى التأريخ العام للنوع الانساني وفي مجرى تأريخ هذا المجتمع أو ذاك على انفراد•ومن تلك الفترات التأريخية البارزة - بنظري - الفترة التأريخية الواقعة بين القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد التي مر بها المجتمع العربي الاسلامي التي ترعرع الجاحظ أثناءها من جهة والفترة التأريخية الواقعة بين نهاية القرن الماضي ومنتصف هذا القرن التي عاش فيها جورج برناردشو من جهة أخرى •

تتميز الفترة الاولى منهما بكونها تقع في الحقبة

التأريخية التي يطلق عليها بعض المؤرخين اسم « العصور الوسطى » أو « عهد الاقطاع » بنظر مؤرخين آخرين • وهي فترة تأريخية ذات خصائص سياسية واقتصادية وايديولوجية معينة ومعروفة • وتتميز الفترة الثانية بكونها تقع في الحقبة التأريخية التي يطلق عليها بعض المؤرخين « عصر التقدم العلمي النظري والتكنولوجي » ويطلق عليها مؤرخون آخرون اسم « عصر تبلور الديمقراطية وتعاظم حركة التحرر الوطني وتصدع النظام الامبريالي » •

أما القضايا الاجتماعية الكبرى الملحة المشتركة بين المجتمعين في الفترتين التأريخيتين المتباعدتين فهي نابعة بنظر الجاحظ وجورج برناردشو ـ على ما نرى ـ من قضية الانسان من حيث موقعه الفعلي في المجتمع ومدى تمتعه بحرياته الاساسية وشعوره بالأمن والطمأنينة • وقضية الانسان هذه ، قضية اجتماعية قديمة ومستعصية الحل واجهها الأدباء الافذاذ بهذا

الشـــكل أو ذاك قبل الجــاحظ وجورج برناردشـــو ويواجهونها الآن وفي المستقبل المنظور على ما نرى .

وأما المواقف المشتركة للجاحظ وجورج برناردشو من قضية الانســـان (وما يتفرع عنها ويرتبط بهـــا من ملابسات عامة ومحلية) فقد اتضحت في مجمل نزعتهما الفلسفية (الايديولوجية المتماثلـــة) التي تعبِّر عـــن نفسها لدى الجاحظ في مذهب الاعتزال الذي كان هو أحد رواده وفي « الاشتراكية الفابيـــة » لدى جورج برناردشو التي كان هو أحد سدنتها . واتضح التشابه بينهما في الاسلوب التهكمي الساخر الذي يمتزج فيه الجد بالهزل الى درجة الانصهار أحياناً والذي يرمي الى إثارة مشـــاعر المقت والتقزز والاشـــمئزاز ازاء كل ما يتنافى مع ما هو جميل وأنيق في علاقات الناس ويسيء الى مبدأ العدالة الاجتماعية وكرامة الانسان .

لقد فسـّر هذان الأديبان البارزان حقائق التاريخ الاجتماعي المرّة (المستمدة من طبيعـــة المجتمع الذي

ترعرع فيه كل منهما في فترته التأريخية المعينة) تفسيراً واقعياً يتصف أيضاً بالطرافة والاناقة الفنية ، كما يتصف بالعمق والشمول وبمهـارة عجيبة في انتقاء حـوادث خاصة [قد تبدو تافهة أو ثانوية الاهمية لاول وهلة] وعرضها عرضاً فنياً جمالياً وبتجسيد مفعم بروح المرح والدعابة وباندماج الجد بالهزل الى درجة الانصهار في كثير من الاحيان • ومن هذه الزاوية فان الصور الفنية الجمالية التي رسمها كل منهما لمآسي المجتمـع الذي عاش فيه قـد اكتسبت بنظرنا صفة الخلـود وتحدّت الزمـان والمكـان وانطوت على عبر تأريخية بالغـة الأهمية •

— ٣ —

لقد بدأت بواكير دراسـتنا الموجزة هذه عندما تلقينا دعوة من وزارة الثقافة والاعلام قبل أكثر مـن سبع سنوات للمشاركة في المهرجان الذي كان مزمعـاً

أن يقام بالبصرة بمناسبة مرور زهاء ألف عام على ميلاد الجاحظ .

— ٤ —

لقد تناولنا في هذه الدراسة — بعد هذه الكلمة التمهيدية — الملامح الكبرى لعصر الجاحظ ومجتمعه ولعصر جورج برناردشو ومجتمعه . ثم انتقلنا — بعد ذلك وعلى أساسه — الى الحديث عن موقف كل منهما من قضايا عصره ومجتمعه الكبرى الملحة . وأنهينا هذه الدراسة بكلمة ختامية لخصنا فيها ما توصلنا اليه .

بغداد في ١٩٨٧/٣/٢٥

نوري جعفر

الفصل الاول

أ : عصر الجـاحظ ومجتمعه

ب : عصر جورج برناردشو ومجتمعه

— ١ —

: عصر الجـاحظ ومجتمعـه

عاش الجـاحظ في بدايـة ما يسمى تأريخيـاً « العصور الاوربية الوسطى » التي تتصف بملامـح عامـة اقتصادية وسياسية وثقافية [ايديولوجية] يطغى فيها الحكم الفردي المطلق حيث يتمتع الحاكم [الخليفة في حالة الجاحظ] بالسلطتين الدنيوية والدينية: المبدأ المعروف تأريخياً : « حق الملوك الالهي المقدس »
The Divine Right of Kings

— ٢ —

شهد الجاحظ منذ ميلاده حتى وفاته جميع أحداث الدولة العباسية منذ عهد المهدي حتى عصر المعتز. فقد

ولد أثناء خلافة المنصور وشهد خلافة المهدي والهادي وخلافة الرشيد والامين وخلافة المأمون [وانتشار مذهب الاعتزال] ، كما شهد خلافة المعتصم [وبناء مدينة سرمن‌رأى (سامراء) واتخاذها حاضرة للخلافة] وشهد أيضاً خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز .

والفترة المشار اليها مفعمة **بالتناقضات السياسية والايديولوجية الحادة ، فمن الناحية السياسية :حدثت** مصارع الخلفاء : الهادي والامين والمتوكل [مع وزيره الفتح بن خاقان] والمنتصر والمستعين والمعتز . كما شهدت الصراع السياسي بين الامويين والهاشميين وبين العباسيين والعلويين وبين العباسيين أنفسهم والعلويين أنفسهم وبين الوزراء والحاشية . كماشهدت ــ من الناحية الأيديولوجية ــ الصراع بين المتكلمين من مختلف المذاهب الاسلامية ، وشهدت انتشار مذهب الاعتزال و « محنة خلق القرآن » في عهد المأمون عام ٢١٢هـ ، ورسالته الى اسحق بن إبراهيم ببغداد التي

ورد فيها : « امتحان القضـــاة والمتحدثين بالقرآن » •
كما شهد أيضاً انحسار نفوذ المعتزلة ومطاردتهم بعـــد ذلك •

وشهدت أيضاً نفوذ الوزير محمــد بن عبدالملك الزيات صاحب التنور الذي أعــده لتعذيب خصومــه فيه ، وشهد العداء المستحكم بين ابن الزيات وأحمدبن أبي دؤاد قاضي القضاة وبين ابن الزيات وبين الأديب الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي الذي كان يتولـــى ديوان الرسائل • وكان الجاحظ يخلفه فيه أثناء تغيبــه في شأن من شؤونه •

قال ميمون بن هــرون ـــ على ما ذكر ياقـــوت الحموي في معجم الأدبـــاء ـــ : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار • أهديت كتـــاب « الحيوان » الى محمد بن عبدالملك الزيات فأعطاني خمســـة آلاف دينار • وأهديت كتاب « البيان والتبيين » الى أحمد

بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار • وأهديت كتاب « الزرع والنخل والزيتون والاعناب » الى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد •

وشهد الجاحظ نكبة ابن الزيات بعد أن غضب عليه المتوكل وأمر باحراقه في ذلك التنور ، فصعق الجاحظ من ذلك وهرب متخفياً الى البصرة • وعندما قبض عليه قال « خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور » • ولما مثل الجاحظ أمام أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة لمحاكمته خاطبه قاضي القضاة في مجلس القضاء قائلا : « والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوىء ، وان الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك » • فأجاب الجاحظ : « خفّف عليك ـ أيدك الله ـ فوالله لئن يكون لك الأمر عليّ خير من أن يكون لي عليك •

ولئن أسيء وتحسن خير من أن أحسن وتسيء . وإن تعفو عني — في حال قدرتك — أجمل من الانتقام مني » ..

فقال ابن أبي دؤاد : « قبّحك الله . ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام . ما تأويل هذه الآية : « وكذلك أَخْذُ رَبِّك إذا أَخَذَ القُرى وهي ظالمة . إنَّ أَخْذَه أليمٌ شديد » قال الجاحظ : تلاوتها تأويلها — أعزَّ الله القاضي .

فالتفت القاضي الى من حوله وقال « جيئوا بحدّاد » فقال الجاحظ : « لِيَفُكَّ عني !! أو لِيَزيدني ؟! » فقال القاضي : « بل ليفك عنك » . ثم نادى : يا غلام سِرْ به الى الحمّام وأَمِطْ عنه الأذى » . وحُمِلَ الى الجاحظ تَخْتٌ من ثياب وطويلة وخُفٌ . ثم عاد . فصدّره القاضي في مجلسه وأقبل عليه وقال : هاتِ الآن حديثك يا أبا عثمان .

تلك بايجاز الملامح العامة للاحداث السياسية

والايديولوجية للفترة التأريخية التي عاش الجاحظ أثناءها في البصرة وبغداد وسُرَّ مَنْ رأى . أما الآن فنود أن نتحدث ـ بأقصى حد من الايجاز والتركيز ـ عن المعالم الكبرى للفترة التأريخية التي عاش أثناءها جورج برناردشو ..

ب : عصر جورج برناردشو ومجتمعه

- ١ -

شهد جورج برناردشو فظائع الاستعمار البريطاني لايرلندة ـ موطنه الاصلي ـ وللهند ومصر والسودان والعراق وأقطار كثيرة عربية وغير عربية ٠

فايرلندة كانت وما زالت بالغة الأهمية للفئات الاجتماعية المتنفذة سياسياً واقتصادياً فيبريطانيا لكون ايرلندة ذاتها مصدراً زراعياً أساسياً للتموين ٠ ومع ان أساليب استغلال الفئات البريطانية [الانكليزية بالدرجة الاولى] للثروات النباتية والحيوانية لايرلندة تختلف عن بعضها في بعض الوجوه بين الفينة والفينة حسب اختلاف الظروف السياسية والاقتصاديةالسائدة منذ القرن الماضي غير ان جوهر عملية الاستغلال

والاضطهاد السياسي والاقتصادي لم يختلف على وجه العموم : ايرلندة مزرعة للمتنفذين الانكليز تمدهم بالحبوب والمواد الاولية الرخيصة والايدي العاملة أيضاً التي تستخدم في الصناعة • وكانت أساليب القمع والاضطهاد تزداد عنفاً كلما تململ المواطنون ونشطت العناصر الوطنية الايرلندية •

وما يصدق على الاستعمار البريطاني لايرلندة يصدق أيضاً — والى حد أكبر وأبشع — على الاستعمار البريطاني للهند من حيث كون الهند مستعمرة زراعية في الاصل شاسعة الاطراف تمد الفئات البريطانية المتنفذة بالطعام والمواد الاولية والايدي العاملة الرخيصة • وللمحافظة على الصلة بالهند — من ناحية الاتصال البحري التجاري — فقد لجأت بريطانيا الى استعمار كثير من الاقطار الواقعة في «طريق» الهند •

وقد سجل الاستعمار البريطاني للهند أبشع صوره وهي كثيرة ومعروفة • واستخدم الخبراء المتمرسين

العسكريين والمدنيين الدهاة واستثمر التخلف الثقافي للمـــواطنين الهنـــود أداة لبث الفرقـــة وتأليب بعض المواطنين على بعض وفق مبدأ « فرق تسد »وممارسة العنف اللامشروع والمذابح الكثيرة وبخاصـــة مذبحة الله آباد ومذبحة كاوينور السيئتي الصيت •

وقضية الاستعمار البريطاني لمصر لا تقل إيلامـــاً عن قضية الاستعمار البريطاني تفسه لايرلندة والهند • وكانت مصر مزرعة بريطانية [للقطن بالدرجة الاولى]• وقد ازدادت أهمية مصر بعد فتح قناة السويس ١٨٦٩ حيث الطريق الى الهند عبر القناة التي ساهمت بريطانية ـــ مع فرنسة ـــ في تمويل عملية شـــقها واستغلالها • وقـــد أثقلت بريطانيا بالذات كاهـــل خديوي مصـــر اسماعيل باشا بالديون فاضطر الى بيع الاسهم المصرية في شركة القناة الى الحكومـــة البريطانية عـــام ١٨٧٥ عن طريق مصرف روتشيلد الفرنسي [اليهودي] •

وقـــد استعملت الحكومات البريطانية المتعاقبـــة آنذاك شتى الاساليب القمعية وأساليب المكر والخداع

لخضد شوكة الحركات الوطنية التحررية في مصر منذ أن خلعت الخديوي اسماعيل وجاءت بالخديوي توفيق بدله • وأخمدت بالنار والحديد الحركة الوطنيـــة التي قادها عرابي • واستخدمت فئة من البـــدو المصريين السذج للقيام بمذابح ضد الجاليات اليونانيةوالايطالية [المسيحية] لتعزيز احتلالها لمصر • وقصفت مدينـــة الاسكندرية عام ١٨٨٢ بالمدافع المسددة مـــن البوارج البحرية البريطانية قبالة الساحل •

ومآسي الاستعماز البريطاني بمصر كثيرة ومذابحها معروفة نذكـــر منها على سبيل التمثيل لا على ســـبيل الحصر مذبحـــة دنشـــواي عام ١٩٠٦ ضد القـــرويين المصريين • وقضية العدوان الثلاثي معروفة •

وتجري هذا المجرى من حيث الجوهـــر قضيـــة الاستعمار البريطاني للســـودان والعراق : حيث ظهـــر الاستغلال الاقتصادي بأبشع صوره وحيث اتضح أيضاً الاضطهاد السياسي بشكل كالح مكشوف ومعـــروف

فنهبت الثروات الطبيعية وتأججت الحزازات والعنعنات المحلية بين المواطنين .

وشهد جورج برناردشو الصراع المرير بين كبار الساسة البريطانيين للاستئثار بالسلطة: بين حزب الاحرار برئاسة كلادستون ثم برئاسة لويد جورج وبين حزب المحافظين بزعامة اوستن تشمبرلن ونيفيل تشمبرلن وبلدوين وونستن جرجل من جهة وبين هذين الحزبين معاً وحزب العمال برئاسة رمزي مكدونلد وكلمنت اتلي وهارولد ولسن من جهة أخرى .

وشهد جورج برناردشو تزوير انتخابات أعضاء مجلس العموم والتفاوت المريع بين المواطنين في الثروة والجاه والنفوذ .

وشهد جورج برناردشو أيضاً اندحار نفوذ حزب المحافظين واندحار مرشحيه في انتخابات مجلس العموم عام ١٩٤٥ واستئثار كلمنت اتلي برئاسة الوزارة العمالية بدلا من ونستن جرجل زعيم المحافظين الذي ساهم في

كسب معركة بريطانيا ضد النازية أثناء الحرب العالمية الثانية • وشهد أيضاً تنازل الملك البريطاني ادورد الثامن عن العرش [وأكبره أيضاً] بفعل اصراره على زواج السيدة سمبسن خلافاً للتقاليد البريطانية الملكية بعد أن خيره رئيس وزراء حزب المحافظين بلدوين بين الزواج أو التنازل عن العرش •

وشهد جورج برناردشو مآسي الحربين العالميتين الاولى والثانية • وشهد انهيار الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية الهنكارية والمانية القيصرية وروسية القيصرية في أعقاب الحرب العالمية الاولى• كما شهد ظهور النازية في المانية والفاشية في ايطالية وانهيارهما في أعقاب الحرب العالمية الثانية • وشهد أيضاً انهيار الامبراطورية البريطانية وتعاظم حركات التحرر الوطني في الشرق الاقصى وفي الوطن العربي وفي افريقية السوداء وامريكا اللاتينية ، وساند تلك الحركات التحررية بقلبه ولسانه وقلمه •

- ٣ -

وشهد جورج برناردشو ظاهرة التقدم العلمي النظري والتكنولوجي المذهل المتمثل في الرياضيات العالية وفي العلوم الطبيعية النظرية الأساسية وفي مقدمتها علوم الفضاء والفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء ، وفي هذا السيل المنهمر من الأدوات والاجهزة العلمية المتقدمة المتمثلة في الحاسبات الالكترونية وفي السفن الفضائية وفي المواصلات السلكية واللاسلكية وفي مجال الخدمات لا سيما الطب والتعليم .

الفصل الثاني

أ : : مواقف الجاحظ من قضايا عصره ومجتمعه

ب : مواقف جورج برناردشو من قضايا عصره ومجتمعه

— ١ —

أ : مواقف الجاحظ من قضايا عصره ومجتمعه

جنح الجاحظ ــ وهو في مقتبل العمــر ــ نحو اعتناق مذهب الاعتزال [الذي نشأ بالبصرة في باديء الامر ثم انتشر في بغداد وسر من رأى في صدر الدولة العباسية وأصبح ــ بعد ذلك وعلى أساسه ــ مــذهب الدولة الرسمي في عهد المأمون] • وقد تلقى الجاحظ مبادىء الاعتــزال مــن النظّام بشكل مباشر ومــن ثُمامَة بن اشــرس ــ عن طريــق الاتصال الشخصي والصحبة الفكرية الطويلة ــ • ثم أصبح الجاحظ أحد أركان مذهب الاعتزال واختلف في كثير من الوجــوه عن المعتزلة الآخرين بمن فيهم استاذه النظّام •

وقد دفعه ذلك ــ على ما يبدو ــ الى الاشــادة بمبدأ العدالة الاجتماعية في المجال السياسي • وكانت

اشادته تلك واضحة وصريحة أحياناً ومجازية خفيفة أحياناً أُخر • كما كانت تحصل في معرض الجد في بعض المناسبات وفي موضع الهزل في مناسبات أُخر•

وقد كتب الجاحظ في رسالته الموسومة « في استحقاق الامامة » العبارات الآتية التي يصف بها الحاكم العادل الذي يصلح بنظره لتسنم منصب خليفة المسلمين أو أمير المؤمنين :

« فاذا قالوا ما صفة أفضلهم ؟ قلنا : أن يكون أقوى طباعه عقله • فاذا جمع الى قوة عقله علماً والى علمه حزماً والى حزمه عزماً وأقام كتاب الله في القريب والبعيد فذلك الذي لا بعده : لأنَّ من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يُقام فيه إلا أشبه الناس به • ومن الاستهانة به أن يُقام من لا يشبهه وليس على طريقته » •

والذي عندي — في هذه المسألة — أنَّه : لو استمرت خلافة عمر بن الخطاب لفترة زمنية أطول ولو

أعقبه أو جاء قبله علي بن أبي طالب وامتدت خلافتــه
لفترة زمنية أطول ولو كانت حاشية عثمان بن عفان على
شاكلته ــ أو قريبــة من ذلك ــ في الورع والتقــوى
والالتزام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ولو
جاء عمر بن عبدالعزيز بعد عثمان مباشرة وامتدت فترة
حكمه لما تفرق المسلمون ــ من الناحية الايديولوجية ــ
هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير
والتفسيق وإباحة الــدم والمال ورد الشــهادة واطلاق
اللسان بالقذع والتهاجُر والتقاطع وما يجري مجرى
هذا في كتب الملل والنحل • ولتجنب المجتمــع ــ من
الناحية السياسية ــ المآسي التي تزخر بها كتب التاريخ،
وذلك لأن ترسيخ قواعد الحكم الصالح يحــول دون
ظهور خليفة مستبد طائشــ يستهين بمصالــح الناس
وبقواعد الدين الحنيف من جهة ويحول أيضاً في الوقت
نفسه دون ظهــور فتيان مغامــرين من الأمــويين أو
الهاشميين [العباسيين والعلويين] للاستئثار بمقاليــد

الحكم دون وجه حق من جهة ثانية ، ولنشوء رأي عام متزن ومسؤول يردع الرعية والرعاة عن الخروج على النهج القويم •

- ٢ -

يتصف تراث الجاحظ الفكري بالمفارقات والتناقضات وبالتهويل والقدرة على تصغير الشيء العظيم بحيث يراه المرء ضئيلاً متهافتاً وعلى تعظيم الشيء الضئيل بحيث يبدو للمرء عظيماً عملاقاً • وللجاحظ أيضاً قدرة عجيبة على ابتداع شخصيات خيالية خلع عليها أسماء مضحكة غير مألوفة ووضع على لسانها معالجة قضايا اجتماعية خطيرة ليدرأ عن نفسه غائلة العتاب وطائلة العقاب • وهذا واضح ـ كما سنرى بعد قليل ـ في رسالته الموسومة « في صناعات القواد » التي زعم انه كتبها الى المعتصم بطلب منه بعد فتح عمورية • وفي رسالة القيان وفي رسالة اللصوص • وقد تناول الجاحظ ـ في

هذه الرسائل بالذات ــ بأسلوبه الساخر الذي خلط فيه الجد والهزل وطغت عليه روح الدعابة ــ أموراً اجتماعية على جانب كبير من الاهمية وعبَّر فيها عن مواقف غريبة غير مستساغة بنظر غيره ليتفادى تحمل تبعة ما تنطوي عليه تلك الرسائل من استهانة بالالتزامات الاجتماعية المتأصلة ، فعزاها الى غيره .

وعندي انه يجنح فيها نحو تحقيق غرض اجتماعي واحد هو تجسيد جوانب التردي في المجتمع الذي عاش فيه . والرسائل المشار اليها بنظرنا جديرة بالدراسة التحليلية العميقة لأن الذين درسوا الجاحظ من القدامى والمحدثين ــ وهم كثيرون ــ مروا بهذه الرسائل مراً خفيفاً عرضياً باعتبارها بنظرهم ، على ما نظن ، نوعاً من أنواع الهزل العابث الذي اتصف به أدب الجاحظ في بعض الاحيان .

ــ ٣ ــ

ففي رسالة الجاحظ المسماة « في صناعات القواد » التي زعم انه وضعها بطلب من المعتصم بعد

فتح عَمُّورِيَّة ان تصريف شؤون الدولة في القضايا الكبرى منوط بمن هم دون ذلك وان قادة الحملة العسكرية هذه بالذات شخصيات طريفة متنوعة الحرف التي لا علاقة لها بالفتح وقيادة الجيش من قريب أو بعيد : حِزام صاحب اصطبل خيل الخليفة والخياط جعفر والمزارع اسحق بن ابراهيم والخباز فرج الراحجي ومعلم الصبيان عبدالله بن عبدالصمد وصاحب الحمام علي بن الجهم والكناس حسن بن أبي قماشة والطباخ عبدالله بن طاهر والفراش محمد بن داود الطوسي •

— ٤ —

وفي رسالة القيان يبدو ان الجاحظ يرمي الى تنبيه الناس الى ان الذين يتعاطون تجارة القيان[اللائي أظهرهن الجاحظ بمظهر المومسات] يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع في الوقت الذي يعاني الناس فيه الضيق والحرج • وهذه فقرات منها : « ويرسل الناس

الى بيت مالكها بصنوف الهدايا •• فالذي يقاسيه الناس من عَيْلَة العِيال ويفكرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم هو بمعزل عنه : لا يهتم بغلاء الدقيق ولا عَوَز السويق ولا عِزّة الزيت ولا فساد النبيذ•• ثم يستقرض إذا أعسر ولا يُرد • ويسأل الحوائج فلا يُمنَع ، ويُلقى أبداً بالإعظام ، ويُكنّى إذا نودي ، ويُفدّى إذا دُعِيَ ، ويُحيّا بطرائف الاخبار ، ويُطلَع على مكنون الاسرار •• ولولا أنّه مَثَلٌ في هذه الصناعة الكريمة الشريفة لم يُسقط الغَيرة عن جواريه ويعرض الغمزة ويغفر القبلة •• فمن كان ذا جاه من مريديه اعتمد على جاهه ومن كان ذا مال استقرض منه ومن كان من السلطان بسبب كُفِيت به عادية الشُرَط والأعوان ••• فأي صناعة في الأرض أشرف منها ؟! »

ويختتم الجاحظ هذه الرسالة الطويلة بالعبارات الطريفة الآتية :

« هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منســوبة الى من سميناهم في صدرها • فإن كانت صحيحة فقد أدّينا منها حق الرواية • والذين كتبوها أولى بما قــد تقلدوا من الحجة منها • وإن كانت منحولــة فمن قبل الطفيليين : إذ كانوا قــد أقامــوا الحـُجـّة في اطـّراح الحشمة • فإن قال قائل : إنّ لها في كل صنف من هذه الاصناف حظاً وسبباً فقد صــدق • وبالله ســبحانه التوفيق » •

— ٥ —

أما رسالة اللصوص فهي رسالة غريبة وفريدة في بابها نظن ان الجاحظ افتعلها أيضاً ونسبها الى أشخاص آخرين وهميين قد لا يكون لهم وجود حقيقي بالشكل الذي ورد في صلب الرسالة ذاتها ، وذلك ليتفــادى الاحراج والمضايقة • ونرجح ـــ الى درجة اليقين ـــ ان بعض الاوساط المتزمتة قد أتلفت الرسالة عن عمــد •

ولولا اشارات الجــاحظ اليها في بعض مؤلفــاته ، واستشهاد مؤلفين ثقات قدامى ببعض الحوادث التي وردت فيها لتعذر التصديق بوجودها في الأصل •ومن طريف ما ورد في الرسالة ان اللصوص كثيراً مايتبادلون الرأي في قضايا لغوية وفقهية عويصة جداً •

ومن يتصفح محتويات هذه الرسالة الوارد بعضها في كتاب « الفرج بعد الشدّة » للقاضي التنوخــي يجنح نحو الاعتقــاد أن الغرض البعيد الذي يرمــي الجاحظ الى تحقيقه منها هو التدليــل على ان اللص ضحية المجتمع الذي يترعرع فيه • وان هذه الظاهــرة المنحرفة نمط من أنماط الاحتجاج السلبي على مساوىء المجتمع وانها لا تقتصر على اللصوص المحترفين وإنما هي تشمل أيضاً اللصوص الكبار من بين القابضين على زمام الأمور العامة الذين هم فوق القانون •

بدأت الرسالة بنــداء وضعه الجاحظ على لســان شخص سماه عثمان الخياط « نقيب اللصوص » وردت فيه العبارات المثيرة التالية :

« لم تزل الأمم يسبي بعضها بعضاً ويسمون ذلك السبي غزواً ، وما يأخذونه غنيمة من ناحية الكسب . وأنتم ـ أيها اللصوص ـ في أخذ مال الغَدَرَة والفَجَرَة أعْذَر . فسمّوا أنفسكم غزاة كما سمى الخوارج أنفسهم شراة » .

وهذه حوادث مثيرة رواها القاضي التنوخي في كتابه الممتع : الفرج بعد الشدّة :

« حدّثني عبدالله بن عمر بن الحارث الواسطي قال : كنت مسافراً في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيّار الكردي فقطع علينا . وكان بزي الأمراء لا بزي القُطّاع . فتقرّبتُ منه لأنظر اليه وأسمع كلامه ، فوجدته يدل على فهم وأدب . فداخَلْتُه ، فاذا برجل فاضل : يروي الشعر ويفهم النحو . فطَمِعْتُ فيه . وعَمِلتُ في الحال أبياتاً مدحته بها . فقال لي: لستُ أعلم ان هذا من شعرك ، ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة لأعلم أنك قلته . وأنشدني

بيتاً . فعملتُ في الحال اجازةً ثلاثة أبيات . فقال لي : أيَّ شيء أُخِذَ منك لأرده عليك ؟ فذكرت له ما أخذ مني ، وأضفت اليه قماش رفيقين كانا لي . فردَّ جميع ذلك . ثم أخذ من أكياس التجار ـ التي نهبها ـ كيساً فيه ألف درهم فوهبه لي . فجزيته خيراً ورددته عليه . فقال لي : لِمَ لا تأخذه ؟ فورَّيتُ عن ذلك. فقال : أحب أن تَصْدقَني . فقلت : وأنا آمن ؟! فقال : آمن . فقلت : لأنك لا تملكه ، وهو من أموال الناس الذين أخذتها منهم الساعة ظلماً . فكيف يَحِلُّ لي أن آخذه !! فقال لي : أما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم !! قال الجاحظ : « ان هؤلاء التجار خانوا أماناتهم ومنعوا زكاة أموالهم ، فصارت أموالهم مستهلكة بها ، واللصوص فقراء اليها، فاذا أخذوا أموالهم ـ وإن كرهوا أخذها ـ كان ذلك مباحاً لهم : لأن عين المال مستهلكة بالزكاة . وهؤلاء يستحقون أخذ الزكاة بالفقر شاء أرباب الأموال أم كرهوا » .

فقلت : بَلَى قد قرأت ذلك • ولكن كيف يُعْلَم أن هؤلاء ممن استهلكتْ أموالَهم الزكاةُ ؟ فقال : لا عليك • أنا أُحضر هؤلاء التجار الساعة وأُريك بالدليل الصحيح أن أموالهم لنا حلال • ثم قال لأحد أصحابه : هاتوا التجار • فجاؤوا بهم • فقال لأحدهم: مذ كم أنت تتَّجِر في هذا المال الذي قطعنا عليه؟ قال: منذ كذا وكذا سنة • قال : فكيف كنتَ تُخرج زكاته؟ فتلجلج • وتكلَّم بكلام مَن لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يُخرجها • ثم دعا آخر • فقال له : إذا كان معك ثلاث مئة درهم وعشرة دنانير وحالت عليك السنة فكم تُخرج منها للزكاة ؟ فما أحسنَ أن يجيب • ثم قال لآخر : إذا كان معك متاع للتجارة ، ولك دَين على نفسين : أحدهما مليء والآخر مُعسر ومعك دراهم وقد حال الحول على الجميع • كيف تُخرج زكاة ذلك ؟ فما فهم السؤال فضلا عن أن يتعاطى الجواب • فصرفهم • ثم قال :

بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ !!

وأن هؤلاء التجار ما زكّوا قط !! خذ الآن الكيس • فأخذته » •

ومن الطريف أن نشير هنا الى أن التجـــار آنذاك على ما يبدو [وبضمنهم بالطبع تجار الجاحظ]لا يعرفون الصلاة أيضاً • فقد ذكر القاضي التنوخي في كتابه الممتع الآخر [نشوار المحاضرة] ما يأتي :

« كان عندنا بالبصرة رجل من التجار يُعرف بأبي علي ابن سَعدان • رأيته مرة ونحن جلوس في دهليز القاضي جعفر بن عبدالواحد ننتظر الإذن عليه • وقد حضرت صلاة العصر • فقام كل واحد منا يصلي• وقام ابن سعدان فصلى صلاة لم أرَ قط أسخف منها•فقلت له : يا أبا علي : هذه ليست صـــــلاة ، فأَحسِنْ صلاتك • فقال لي : « نحن نصلي صلاة التجـــار » • فقلت له : هذا أعجب !! كأن الله عز وجل فرض على التجار صلاة غير الصلاة التي فرضها على سائر عباده» •

وأطرف من ذلك : ان الجـــاحظ نفسه لا يؤدي

فريضة الصلاة ، فقد ذكر ابن أبي الذيّال لـ المحدِّث المعروف بِسِرٍّ مَنْ رأى :

« حضرتُ وليمة حضرها الجاحظ . وحانت صلاة الظهر فصلينا . وما صلى الجاحظ . ثم حضرت صلاة العصر فصلينا . وما صلى الجاحظ . فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ لرب البيت : إني ماصليت لمذهب أو سبب أُخبرك به . فقال صاحب المنزل : ما أظنُّ أن لك مذهباً في الصلاة إلا أن تتركها !!

– ٦ –

وحادثة طريفة أخرى من حوادث لصوص الجاحظ ذكرها القاضي التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدّة » :

« حَدَّثني بعض التجار البغداديين ، قال : خرجتُ بمبلغ ومتاع من بغداد أريد واسطاً . وكان البَريدي أميراً عليها . والدنيا مُفتَتِنة جداً . فقطع

عليَّ وعلى الكار الذي كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدي ، فأفقرني . وكان معظم ما أملكه معي . فَسَهُلَ عليَّ الموت . وطَرَحتُ نفسي له . وكنتُ أسمع ببغداد ان ابن حمدي هذا فيه فُتوَّة وظَرَافة . وأنَّه إذا قَطَعَ لم يعرض لأرباب البضائع اليسيرة التي تكون دون الألف درهم . وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئاً قاسمه وترك شطر ماله في يديه ، وأنَّه لا يفتش المرأة ولا يسلبها . فأطمعني ذلك في أن يرق لي .

فَصَعِدتُ الى الموضع الذي هو جالس فيه ، وخاطبته في أمري . وبكيتُ ورقَّقته ووعظته . وحلفتُ أن جميع ما أملكه قد أُخذ مني . وأني أحتاج أن أتصدَّق من بعده . فقال لي : « يا هذا !! الله بيننا وبين هذا السلطان الجائر الذي أحوجنا الى هذا الفعل . ولسنا فيما نفعله نرتكب أمراً أعظَمَ مما يرتكبه السلطان . وأنت تعلم أن ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويُفقرهم . حتى انه يأخذ الموسر المكثر

فلا يخرج من حبسه إلا وهو لا يهتدي الى شـــيء غير الصدقة • وان ابن شيرزاد هذا اتفق معي ــ بعد أن عظم شأني وكثر أتباعي ــ أن يوصل اليه كل شـــهر خمسة عشر ألف دينار مما أنهبه أنا وأصحابي منأموال النـاســـ • وكذلك يفعـــل البـَريــدي أمير واســـط والبصرة » •

— ٧ —

وحادثة طريفة أخرى مثيرة ذكرها القاضي التنوخي تجري هذا المجرى :

« لمّا كنتُ أتقلـّد القضاء بالكرخ كان بوابي بها رجل من أهل الكرخ له ابن كان يدخل بيتي بلا إذن ويمتزج مـــع أولادي ، وأهبُ له في بعض الأوقــات الدراهم والثياب • ثم صـُرِفتُ عن الكرخ ورحلتُ عنها ، ولم أعرف للبواب ولا لإبنه خبـــراً • ومضـــت السنون ، وأنفذني الأمير أبو عبدالله البـَريدي برسالة

الى الأمير أبي بكر محمد بن رائق • فانحــدرت أريد واسطاً • فقيل لي : ان في الطريق لصاً يُعرف بالكرخي استفحل أمره • فخرج علينا لصوص في سفن عديدة • فبينا نحن كذلك وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت • فحين رآني زجر أصحابه عني ، وتقدم نحوي بمفرده •وجعل يتأملني ، ثم أكبّ على يديّ يقبلها ، وهو ملثّــم • فارتعتُ ، وقلت : يا هذا ما شأنك ؟ فأسفر عن لثامــه وقال : أما تعرفني يا سيدي ؟ فتأملته • فلجزعي لــم أعرفه • فقلت : لا والله • فقال : « بلى : أنا عبــدك ابن فلان الكرخي بوّابك هناك • وأنا الصبــي الذي تربيتُ في دارك » • فسكن روعي قليلاً • وقلــت : يا هذا كيف بلغتَ الى هذه الحال ؟ فقال :

« يا سيدي : نشأتُ فلم أتعلم إلا معالجة السلاح، وجئت الى بغداد أطلب الديوان ، فما قبلني أحد• ولو أنصفني السلطان وأنزلني بحيث أستحق من الشــجاعة وانتفع بخدمتي ما فعلت بنفسي هذا » •

— ٨ —

تلك حوارات طريفة ومهمة وفيها كثير من العبر السياسية والايديولوجية لولا الاستطراد لذكرنا كثيراً مما هو على شاكلتها • وهي تكشف عن جانب مهم من جوانب حياة الجاحظ الفكرية المتعددة الجوانب •

وقبل الانتقال الى الحديث عن جورج برنارد شو نود أن نشير الى ملاحظات طريفة وعميقة وردت عرضاً في كتب الجاحظ وفي رسائله من باب «الاستطراد» :

ذكر الجاحظ في رسالته الموسومة : في النُّبل والتَّنبُّل ، ما يأتي :

« لا يكون المرء نبيلاً حتى يكون نبيل الرأي ، نبيل اللفظ ، نبيل العقل ، نبيل الخلق ، نبيل النظر ، طاهر الثوب من الفُحش • والنبيل لا يتنبَّل • كما ان الفصيح لا يتفصَّح • لأن النبيل يكفيه نبله عن التَّنبُّل ، والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصُّح•ولم

يتزيّد أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه . ولا تطاول متطاول إلا لوهن قد أحسَّ به في قوته » .

وذكر الجاحظ عن أبي بكر الهُذَلي أنه قال : « كنا عند الحسن البصري إذ أقبل وكيع بن أبي الأسود فجلس فقال : يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يُصيب الثوب : أيُصلَّى به ؟ فقال الحسن : يا عَجَباً ممن وَلَغَ في دماء المسلمين كأنّه كلب !! ثم يسأل عن دم البراغيث !! » .

وقال الجاحظ أيضاً « وقف رجل على عامر الشَّعبي : فلم يَدع قبيحاً إلا رماه به . فقال له عامر: إن كنتَ صادقاً ليَغفر الله لي ، وإن كنتَ كاذباً ليغفر الله لك » .

وقال أيضاً : « لمَّا قُدِّم سقراط ليُقتل بكت امرأته . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : تُقتل ظلماً . فقال : أكنتِ تحبين أن أقتَل حقاً !! » .

وقال الجاحظ أيضاً : « دخل عمرو بن عبيد على

المنصور وهو يومئذ خليفة • فقال له المنصور : عظني يا أبا عثمان • فقال عمرو : « ان الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشترِ نفسك ببعضها • فلو ان هذا الامر الذي صار اليك بَقِيَ فيمن كان قبلك لما وصل اليك• إذا نزلت من المنبر يوم الجمعة فاعمل بما تقوله » •

قال الجاحظ – في كتاب البيان والتبيين – « قال عليّ كرم الله وجهه : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » • فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية » • وقال أيضاً – في الكتاب نفسه – : « لقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال : « صلاح شأن جميع التعايُش والتعاشُر ملء مكيال • ثلثاه فطنة وثلثه تغافل » • فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظاً من الصلاح : لأن الانسان لا يتغافل إلاّ عن شيء فَطِن له » •

وقال أيضاً – وهو كثير – :

« لم يرَ الناس أعجب من الكُميت والطِّرِمّاح.
وكان الكميت عدنانياً عصبياً وكان الطرماح قحطانياً
عصبياً . وكان الكميت شيعياً من الغالية . وكان الطرماح
خارجياً من الصُّفْرِيّة . وكان الكميت يتعصب لأهل
الكوفة . وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام . وبينهما
— مع ذلك — من الخاصّة والمخالطة ما لم يكن بين
نفسين قط . ثم لم يجرِ بينهما صَرْم ولا جفوة ولا
إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال له . ولم يرَ
الناس مثلهما إلاّ ما ذكروا في حال عبدالله بن يزيد
الأباضي وهشام بن الحكم الرافضي ، فانهما صارا الى
المشاركة بعد الخِلْطَة والمصاحبة » .

ب : مواقف جورج برناردشو من قضايا عصره ومجتمعه

- ١ -

جورج برناردشو ـ مواطن ايرلندي ـ ولد عام ١٨٥٦ وتوفي عام ١٩٥٢ • وعندما التحق بإحدى المدارس الابتدائية وشعر ـ بفعل صرامة المعلمين وسوء أساليب التعليم ـ بأنه أقل كفاءة من أقرانه ترك المدرسة وانتقل دون جدوى الى مدرسة أخرى ثم تركها والتحق بثالثة من النمط نفسه فأقلع عن مواصلة التعليم المدرسي وشعر بالاحباط وخيبة الأمل وبالتمرد منذ نعومة أظفاره وانصرف الى دراسة الأدب دراسة خاصة • وقد توثقت روابطه الفكرية منذ عام ١٨٨٠ بطائفة من رجال الفكر البريطانيين وأصغى بإعجاب الى المحاضرة التي ألقاها في يوم ١٨٨٢/٩/٢٠ المفكر

الامريكي البارز هنري جورج صاحب كتاب :
« التقدم والفقر » Progress and Poverty
الأمر الذي مهد السبيل أمامه للاشتراك في «الجمعية الفابية» Fabian Society مع فئة من رجال الفكر البريطانيين في مقدمتهم ايج جي ويلز وسدني ويب وقرينته بياتيرس ورمزي مكدونالد • وقد اشتق اسم الجمعية من اسم قائد يوناني قديم : Fabius عام ١٨٨٤ • وبعد نشوئها بزهاء ست عشرة سنة اندمجت بحزب العمال البريطاني الذي نشأ بعدها بفترة وجيزة [عام ١٩٠٦ ، بعد اندماج فئات متفرقة من ممثلي العمال نشأت عام ١٨٩٥ وتبلورت عام ١٩٠٠] • وأصبحت الجمعية تمد الحزب بمعطياته الايديولوجية •

ولكن جورج برناردشو سرعان ما اكتشف التناقض بين الاقوال والافعال لدى قادة الجمعية فاستقال منها عام ١٩١١ وندد بها وبحزب العمال وبجميع الساسة البريطانيين في مختلف الاحزاب •

وقد حز بنفسه كثيراً تَنكّر رمزي مكدونالد لمبادىء حزب العمال الذي كان يرأسه وتنصله عن الالتزامات الأدبية والايديولوجية التي تربطه بالجمعية الفابية التي كان هو أحد مؤسسيها واتّباعه سياسة امبريالية أثناء توليه منصب رئاسة الوزارة عام ١٩٢٤ ، وعند تشكيله وزارته الثانية عام ١٩٣١ بأعضاء من الحزبين الآخرين [الاحرار والمحافظين] وقمع وزارته للمطالب المشروعة للعمال البريطانيين •

— ٢ —

كرّس جورج برناردشو أكثر من سبعين عاماً من حياته التي بلغت القرن للكتابة في أهم قضايا عصره ومجتمعه السياسية والاقتصادية والايديولوجية وركّز اهتمامه بالدرجة الاولى والأهم في مناوأة الاستعمار والاضطهاد وجميع مظاهر التفاوت الاجتماعي بين المواطنين في الداخل : فقدان مبدأ العدالة الاجتماعية : ـ قضية الانسان ـ • وكان شديد الوطأة

على الاوساط الحاكمة وطواغيت الاحتكارات باسلوبه الساخر اللاذع • وتهكم بمبدأ « استقلال الأدب عن السياسة والاقتصاد » واعتبر الساسة البريطانيين من مختلف الاحـزاب « تجـار شعـارات ايديولوجيـة يتلاعبون بمشاعر الناس عن طريق الدجـل والتمويه بعبارات فارغة طنانة » •

اتسمت كل قصة من قصصه وكل روايـــة من رواياته الكثيرة بطابعها الخاص المتميز الملامح ولكن في حدود الاطار العام لمجرى تفكيره الاجتماعي•وكان جـورج برناردشـو يشـجع القـارىء على التفكير والتمحيص والتريث فـي القضايا التي يعرضهـا على القارىء في ضوء الواقع الذي يعيش فيه • وهذه من أبرز سماته الأدبية المميزة • ومع ان تفكيره لا يسـير دائماً بخط مستقيم في كل قصة أو رواية بل يتمـوج ويميل من جانب الى آخر ــ يختلف عنه وقد يناقضـه أحياناً ــ ولكنه مع ذلك يقع ضمن مجرى عام واضح

المعالم بالنسبة له : قد يخفى على كثير من القراء [وبخاصة الذين يطفون على السطح] • ومما يغريهم على ذلك أسلوبه الساخر وخلطه الجد بالهزل الى درجة الانصهار — كسلفه الجاحظ — • وله ولع خاص في أن يضع جوانب القوة والضعف التي يعزوها الى الشخصيات التي يتحدث عنها في كتاباته وجهاً لوجه بشكل متعارض • ومن الملاحظ أيضاً ان الشخصيات التي يتحدث عنها هي — في الأعم الأغلب — شخصيات سلبية قلقة تتصف بالخبث والرذيلة والبلادة وبالتعصب الذميم وضيق الأفق وبالمنطق المنحرف المفلوج وبالافتقار الى المشاعر الانسانية • وغرضه من ذلك على ما يبدو — كغرض سلفه الجاحظ — أن يستثير مشاعر المقت والاشمئزاز لدى القارىء تمهيداً لتهيئة ذهنه لقبول المبادىء الاخلاقية السامية والعمل وفق مستلزماتها •

— ٤ —

لقد كان ضرورياً بنظر جورج برناردشو أن يجسّد كل قضية ملحة وأساسية يؤمن هو بها ليستوعبها القارىء [أو المشاهد في حالة التمثيلية أو المسرحية] ويقف منها الموقف الملائم . وقد فعل ذلك ونجح فيه وجلب اهتمام المواطنين نحو مواطن الضعف الكامنة في المجتمع البريطاني الذي عاصره تمهيداً لاصلاحه بطريقته الخاصة . وقد استخدم الصور الأدبية الفنية المتعددة المستويات والاشكال ، فتخطى بنزعته هذه نزعات الأدباء البريطانيين الذين سبقوه وخلع على رواياته ومسرحياته وقصصه مسحة تأريخية محسوسة بالاضافة بالطبع الى جوهرها الرومانتيكي. والعامل الرئيس في ذلك من الناحية السايكولوجية — على ما نظن — هو أن جورج برناردشو مفكر وفنان من الطراز الاول .

وهذا يعني — بعبارة أخرى — أن أعماله الأدبية

ضمت عناصر واقعية تقدمية وعناصر أخَر تختلف عنها اختلافات كبيرة وكثيرة : تناقضها في بعض الاحيان من وجوه كثيرة وإن كان الجانب التقدمي الواقعي هو الجانب الأبرز والأوضح في تصويره حقائق عصره ومجتمعه البارزة وفي وصفه الشخصيات التأريخية وعلاقاتها الاجتماعية المتباينة •

أما جوهر ذلك كله فهو : قضية الانسان وموقعه الفعلي في المجتمع • وهنا تتجلى نزعته الانسانية التي تختلف من بعض الوجوه عن النزعات الانسانية لدى الأدباء البريطانيين الذين عاصروه والذين سبقوه على حد سواء ، وقد طغى ذلك طغياناً ملحوظاً على أدبه واتضح في هذه الثروة الأدبية الغزيرة التي تركها وراءه •

لقد أوضح جورج برناردشو ـ من حيث هو أديب واقعي متنور حر التفكير ـ ان دور الأديب الحديث يتلخص بقدرته على التقاط الاحداث المهمة والملحة ـ بنظره ـ وعزلها بتجسيد عن غيرها ووصفها بدقة

ورشاقة فنية بحيث تتجلى للعيان روابطها وعلاقاتها بغيرها .

— ٥ —

لقد أثار الأسلوب التهكمي الساخر الذي استخدمه جورج برناردشو عند معالجته قضايا اجتماعية محلية ودولية مهمة استغراب فئة من الكتاب البارزين الذين عاصروه وفي مقدمتهم تولستوي الذي عاتبه برسالة عبّر فيها عن دهشته من هذا الأسلوب الأدبي غير المألوف وغير المتوقع فقال : « على المرء ألاّ يتحدث عن قضايا اجتماعية جدية بأسلوب هزلي مضحك ساخر كما تفعل أنت يا جورج برناردشو . وعليك أن تكف عن ذلك لتتبوأ مكانتك الأدبية المرموقة » . وقد فات تولستوي ان استخدام جورج برناردشو هذا الاسلوب هو الذي بوّأه مكانته الأدبية المرموقة على الصعيدين المحلي والعالمي على حد سواء .

استمر جورج برناردشو – كسلفه الجاحظ – حتى الرمق الأخير من حياته التي امتدت زهاء القرن محتفظاً بفكره الثاقب الأصيل وبقدرته العجيبة على السخرية اللاذعة والتهكم الملحوظ وعلى خلط الجد بالهزل الى درجة الانصهار وعلى اهتمامه المنقطع النظير بقضية الانسان والرنو نحو تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية بين الناس في كل زمان ومكان وعلى مقارعة الاستبداد والظلم والتعصب بجميع أشكاله ومختلف درجات حدته .

لقد توقفت نبضات قلب جورج برناردشو يوم ٢/١١/١٩٥٢ . وقد أُحرق جسمه – بطلب منه – وذُري رماده في حديقة منزله قرب لندن . ومع أن جورج برناردشو – كسلفه الجاحظ من قبل – لم يعد حياً معنا بالمعنى البايولوجي المعروف غير أن تراثه الأدبي الثر – كتراث سلفه الجاحظ – ما يزال حياً

وسيبقى ما بقيت الحياة على سطح الأرض وما بقيت قضية الانسان . في حين أن أدباء كثيرين، غربيين وغير غربيين ، قدامى ومحدثين ، ناصروا الطغاة ودافعوا عن الظلم والاضطهاد ـ لعوامل كثيرة ـ ماتوا قبل مفارقتهم الحياة . وهذه سُنَّة التأريخ وفيها كثير من العبر .

كلمــة ختاميــة

وخلاصة ما ذكرناه : ان بين الجـاحظ وجـورج برناردشو ـ رغم تباعدهما في الزمان والمكان ـ أوجه شبه كبيرة وكثيرة • فكل منهما آمن بقضية الانسـان ودافع عنها بحرارة ولجاجة بشكل مباشر مكشـوف وبشكل غير مباشـر وضمني • وكل منهما اسـتخدم السُخرية أو التهكم وخلط الجد بالهزل للتعبير عـن مشاعره ومواقفه إزاء قضايا عصره ومجتمعـه الكبرى الملحة • وكل منهما ترك وراءه ثروة ضخمة من التراث الأدبي الممتع العميـق • وكل منهما واصل الكتابـة والتأليف حتى الرمق الأخير من حياته التي تجـاوزت القرن • وكل منهما تحدى الزمان والمكان في أصالتـه الفكرية وفي مواقفه الجريئة الرامية الى تحقيق مبـدأ العدالة الاجتماعية لجميع الناس بصرف النظـر عـن جميع الاعتبارات • وكل منهما أحبّ الكتب واقتناها وقرأها حتى وهو على فراش الموت •

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنهـا وكأنهـم أحـلام

أهـم المصـــادر

أ ـ عن الجـاحظ :

١ : الجاحظ : كتاب الحيوان

٢ : الجاحظ : كتاب البيان والتبيين

٣ : الجاحظ : رسائل الجـاحظ : رسالة في صناعـات القواد ، رسالة القيان ، رسالة اللصوص

٤ : القاضي التنوخي : الفرج بعد الشدة

٥ : القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة

٦ : ياقوت الحموي : معجم الأدباء : الجاحظ

٧ : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : الجزء الثامن

ب : عن جورج برناردشو ـ بالانكليزية :

1: Encyclopedia Britannica: George Bernard Show.

2: George Bernard Show:

a: Man and Superman.

b: John Bull's Other Island.

c: Androcles and the Lions.

d: Pygmalion.

e: Heartbreak House.

f: The Man of Destiny.

g: Caeser and Cleoptra.

h: The Devil Disciple.

i: Major Barbara.

j: Augustus Does His Bit.

k: The Six Calais.

l: Back in Mathuselah.

m: The App'e Cart.

n: Sant Joan.

o: Too True to be Good.

p: The Millimairess.

q: On the Rocks.

r: Butoyant Billions.

جائـزة نوبـــل

الدكتور نوري جعفر

المقدمـــة

ملاحظـات تمهيديـة عامـــة

– ١ –

جائزة نوبل - Nobel Prize –مكافأة مالية وتقديرية دولية تمنح سنوياً لأبرز عالم في الفيزيـــاء والكيمياء وفي الفسلجة والطب وفي الأدب وفي مجال الســـلام الدولي (وفي الاقتصاد منـــذ عام ١٩٦٩) • وتقترن باسم المهندس السويدي الفرد نوبل (١٨٣٣ــ١٨٩٦)• وقد بدأ توزيعها على المستحقين منذ عام ١٩٠١ كمـــا سنرى في الفصل الاول من هذه الدراسة الموجزة •

والجائزة المشار اليها اعتراف ملحوظ بأهمية العلم في تقـــدم المجتمع محليـــاً وعلى الصعيد الدولـــي من الناحيتين الثقافية والمادية على حد سواء • فالعلم كان وما زال وسيبقى دعامة أساسية (ولا نقول الدعامـــة الاساسية) في تقدم المجتمع • وقد استعانت الأمم في

مجرى تطورها التأريخي بالعلم النظري ومنجزاته التكنولوجية لتحقيق تقدمها الاقتصادي والسياسي والثقافي وفي مكانتها في الاسرة الدولية • وهذا واضح في الوقت الحاضر في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفي اليابان واقطار اوربا الغربية لا سيما فرنسة والمانية وانكلترة •

— ٢ —

ساهم الفكر العربي الاسلامي ـ أثناء مرحلة صعوده التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل ـ مساهمة ايجابية فعالة في تقدم العلم • ولو ان جائزة نوبل لها أثر رجعي [بتعبير المشرعين : بمعنى انها تمنح للذين ساهموا في تقدم العلم قبل عام ١٩٠١] أو انها كانت تمنح منذ القرن العاشر الميلادي [الرابع الهجري] لنالها كثيرون من حملة العلم والثقافة في هذا المجتمع الذي نعيش فيه : مثل الجاحظ (في الأدب) والحسن بن الهيثم (في الفيزياء) وجابر بن حيان (في الكيمياء)

والبيروني وابن النفيس وابن البيطار وابن سينا (في الفسلجة والطب) .

والتاريخ العربي الاسلامي مفعم بأسماء لامعة من هذا الطراز من مواطني المجتمع آنذاك من المسلمين العرب وغير العرب ومن المواطنين الآخرين المسيحيين والصابئة . وقد اتصف المجتمع آنذاك بالانفتاح الذهني على المجتمعات المعاصرة آنذاك واستوعب ثقافتها وعلومها الطبيعية ولكنه لم يقف عند مجرد النقل أو الاقتباس بل أضاف الى ما استوعبه فطوّره وأثراه وأضاف اليه إضافات ملحوظة وأصيلة . وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة على الصعيد المحلي ــ بالنسبة للمسلمين من غير العرب وبالنسبة للمواطنين غير المسلمين الذين يتقنون لغات أخرى في شتى الارجاء ــ وعلى الصعيد العالمي أيضاً تماماً كما كانت الحال بالنسبة للغتين اللاتينية واليونانية في المجتمع الغربي . غير ان اللغة العربية ــ بالاضافة الى ذلك ــ حلّت محل لغتي الثقافة الغربية آنذاك ــ اللاتينية

واليونانية ـ في المجتمع الغربي نفسه وأصبحت لغة العلم والثقافة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية بعد أن اجتاحتها القبائل البربرية الجرمانية والفرنكية (أسلاف الالمان والفرنسيين المعاصرين) • وقد أعادت اللغة العربية الى الغرب التراث الفكري اليوناني القديم (في الفلسفة والطب وعلم الفلك والرياضيات) من ناحية أصوله المترجمة الى اللغة العربية مع الحواشي والتعليقات والاضافات • ولولا اللغة العربية والفكر العربي المستنير لانطمست معالم ذلك التراث باندثار الامبراطورية الرومانية لأن القبائل البربرية التي أطاحت بها خربت أيضاً منجزاتها الثقافية تماماً كما فعل التتر بمدينة السلام •

لقد تبلور الفكر العربي الاسلامي في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي ـ القرن الرابع الهجري ـ واستمر متدفقاً صاعداً ومتطوراً حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي • واتصف رواده

في مختلف المجالات بغزارة المعرفة وتعدد الاختصاصات وبالمثابرة والتتبع • وكان كل منهم موسوعة علمية ضخمة تجمع بين الفلسفة والطب وعلم الفلك والرياضيات والفيزياء وحتى الموسيقى أحياناً • هذا بالاضافة — بالطبع — الى اللغة والأدب والشعر وعلوم الدين • وهذه ظاهرة ثقافية فريدة في بابها لم يُسجِّل لها التأريخ نظيراً — على ما نعلم — في المجتمعات القديمة والحديثة على حد سواء ، باستثناء عصر النهضة الاوربية Renaissance في الولايات الايطالية بالذات في القرن الخامس عشر الميلادي • ومع ذلك ، فهناك فرق ملحوظ بين رواد الفكر العربي الاسلامي وزملائهم في عصر النهضة الاوربية : فقد كان رواد الفكر العربي الاسلامي أكثر عدداً وأوسع أفقاً وأغزر معرفة على وجه العموم • وكانوا أيضاً متحدرين من أصول اجتماعية متواضعة بمقاييس أهل ذلك الزمان بعكس زملائهم الارستقراطيين في عصر النهضة الاوربية •

ومن الجهة الثانية : فقد عاش رواد الفكر العربي الاسلامي في فترة تأريخية عصيبة لم يُسجِّل فيها العلم النظري والتكنولوجيا تقدماً ملحوظاً بمقاييسنا الراهنة. ومع ذلك فقد تجشموا أهوال السفر ومتاعب الاقامة وصعوبات التنقل واستنسخوا ــ بأدوات كتابية بدائية وفي ضوء مصابيح الزيت والشموع الخافتة ــ آثاراً فكرية تفرقت بين أقطار متباعدة الارجاء .

قال الوزير المهلّبي : «سألت أبا الفرج الأصبهاني: في كم جمعتَ هذا الكتاب ؟ ــ يعني كتاب الأغاني ــ أجاب : بخمسين سنة ، وكتبته مرة واحدة في عمري. وهي النسخة التي أهديتها الى سيف الدولة » . وإذا تذكرنا أيضاً أن البُخاري ــ المحدّث المشهور ــ بقي على متن السفر المضني أكثر من تسعين يوماً في تقصي حديث نبوي شريف واحد لم يَصِحْ ــ في النهاية عنده ــ فنفاه ولم يثبته في صحيحه لقدّرنا مبلغ ما ضحّى به أولئك العظام من أجل الثقافة .

ونحن مطالبون الآن ـ في الأقل ـ بقراءة تراثهم الفكري ـ كل في مجال تخصصه ـ (ولا نقول بإثرائه وتطويره) ـ وهما ما نطمح اليه ـ وقد توافرت لنا جميع المستلزمات المادية والثقافية • وتحضرنا ـ في هذه المناسبة ـ ملاحظات طريفة وعميقة أبداها المأمون لعمه إبراهيم بن المهدي : فقد ذكر الرواة ان إبراهيم بن المهدي دخل يوماً الى المأمون ـ بعد أن عفا عنه ـ ووجد عنده جماعة يتكلمون في الفقه • فقال له المأمون : ما عندك ـ يا عم ـ في ما يقول هؤلاء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين شَغَلونا في الصِغَر وانشغلنا عنهم في الكِبَر • قال المأمون : ولِمَ لا تتعلمه الآن !! فقال : أوَ يَحْسُنُ بمثلي طلب العلم على كِبَر سنّي !! قال المأمون : نعم • والله لئن تعيش طالباً للعلم خير" من أن تعيش قانعاً بالجهل • فقال إبراهيم : والى متى يَحسُن بي طلب العلم ؟ قال المأمون : « ما حَسُنَتْ بك الحياة » •

قال الأصمعي ــ على ما ذكــر ياقوت الحموي في معجم الأدباء ــ : « كنت بالبصرة أطلب العـلم وأنا مُقِلٌّ . وكان على باب زقاقنا بقال . فاذا خرجتُ باكراً يقول لي الى أين ؟ فأقول : الى فلان اللغوي . وإذا عدت في المساء يقول لي : مــن أين ؟ فأقول من عند فلان المحدِّث . فيقول : « يا هذا ! اسمع كلامي . أنت شاب فلا تُضعْ نفسك . واطلب معاشاً يعــود عليك نفعه . واعطني جميع ما عندك من الكتب حتى أطرحها في الدَّن ... والله لو طلبتَ مني ــ بجميع كتبك ــ حَبَّةَ بَقْل ما أعطيتك » قال الاصمعي : « فضيَّق صدري بمداومته هذا الكلام ، حتى صرت أخرج من بيتي ليلاً وأدخله ليلاً . وحالي ــ في خلال ذلك ــ تزداد ضيقاً حتى أفضيتُ الى بيع أســاسات داري . وبقيتُ لا أهتــدي الى نفقة يومي . وطــال شعري وأخْلَقَ ثوبي واتسخ بدني » .

وهذا اسـحق بن إبراهيم الموصلي العميق الفكر المتعدد جوانب الثقافة ، الذي جمع ــ الى جانب حذقه

بصناعة الغناء ـ حسن التصرف وجودة الصنعةللشعر والفقه وعلم الكـلام . أما الغناء ـ الذي انفـرد به الموصلي ـ فكان أصغر علومـه وأدنى ما يوصف به وإن كان الغالب عليه : وذلك لأنه كان له في سـائر علومه نُظَراء ولم يكن له نظير في الغناء . وقد أشار الموصلي نفسه الى كيفية قضائه صبيحـة يومه فقال : « بقيتُ زماناً من دهري أُغَلِّس الى هُشَيْم فأسمع الحديث . ثم أصير الى الكِسائي فأقرأ عليـه جزءاً من القرآن . وآتي الفرّاء فأقرأ عليه جزءاً . ثم آتي منصوراً زَلْزَلَ فيُطارحني طريقتين أو ثلاثة . ثـم آتي عاتكة بنت شُهَيْد فآخذ منها صوتاً أو صوتين . ثم آتي الأصمعي فأُناشده . وآتي أبا عُبيدة فأُذاكره ثم أصير الى أبي فأُعلمـه ما صنعتُ ومن لقيتُ وما أخذت ، وأتغدّى معه . وإذا كان العشـاء رحت الى الرشيد » .

ومن طريف ما يروى أن الموصلي سأل المأمـون أن يكون دخوله اليه مع الوزراء ـ لا مع المغنين ـ

فأجابه المأمون الى ذلك . ثم سأله أيضاً أن يدخل مرة أخرى مع الفقهاء . فأذن له .واحتفظ بالطبع بدخوله اليه مع المغنين . وأطرف من ذلك قول المأمون لجلسائه يوماً : « لولا ما سَبَقَ لاسحق على ألسنة الناس وما عُرف به في الغناء عندهم لوليته القضاء بحضرتي : فأنه أولى به وأحقّ وأصدقُ حديثاً وتديناً وأمانة من هؤلاء القضاة » .

وذكر الرواة أيضاً : ان ابن سَحنون ــ الفقيه المغربي المشهور ــ كان منهمكاً في القراءة والكتابة في أحد الأيام الى أن حان موعد العشاء . فجاءته جاريته بالطعام . فقال لها : « يا أم مدام أنا مشغول عن الطعام بما أنا فيه » . فوقفت صامتة على رأسه . فلما طال انتظارها أخذت تلقّمه حتى أتت على الطعام كله . وانصرفت . واستمر هو على حاله الى أن أذّنَ المؤذن لصلاة الصبح . فطوى أوراقه . وقال : « يا أم مدام هاتِ الآن ما عندك من العشاء » .

فقالت : « أطعمتك إياه يا سيدي » • قال : « والله ما شعرتُ بذلك » •

- ٣ -

عفواً من هذا الذي قد يبدو لأول وهلة كأنه استطراد وفيه ما يشبه الخروج على عنوان هذا البحث الموجز المنصب على « جائزة نوبل » • وعذري في ذلك اننا نعيش في هذا القرن الذي يشهد تطوراً مذهلاً في العلم النظري وفي منجزاته التكنولوجية• ولا بد لنا من مواكبته لا عن طريق الاقتباس والنقل الحرفي وإنما أيضاً — وبالدرجة الاولى والأهم — عن طريق إثرائه بمنجزات علمية نظرية وتكنولوجية • ونحن نطمح أن يكون قريباً ذلك اليوم الذي تعرض فيه الاقطار العربية في المعارض الدولية منجزاتها العلمية النظرية والتكنولوجية ، وأن يتقدم العلماء العرب بمنجزاتهم العلمية الاصيلة لنيل جائزة نوبل • وهذا لا يتم ، بنظري ، على أفضل وجه إلا إذا هيئت لنا

الأجواء العلمية وشعرنا بالطمأنينة والأمن وبالتقدير مع توافر مستلزمات البحث المادية والثقافية : الاجهزة المختبرية والمكتبات العلمية والمشاركة في المؤتمرات العلمية الدولية • ومما يساعد على ذلك — ويكون أداة حفز سايكولوجي — أن نتذكر ما أنجزه السلف في هذا المضمار وأن ننسج على منوالهم• وأن تخصص جوائز ومداليات أو أوسمة علمية تقديرية لأصحاب الفكر العلمي الأصيل من المواطنين في عموم الوطن العربي •

الفصل الاول

جائزة نوبـــل

- ١ -

الفرد برنارد نوبل (١٨٣٣ـ١٨٩٦) عالم كيمياء ومهندس سويدي بارز يقترن باسمه اختراع أو اكتشاف الديناميت • وكان نوبل ثرياً خلف وراءه ثروة قدرت بمبلغ (٣٣) مليون كورتر ــ العملة السويدية ــ : أو حوالي (٩) ملايين دولار امريكي في ذلك الحين • وقد أوصى أن يودع القسم الاكبر من المبلغ المشار اليه في أحد المصارف (تحت اشراف مؤسسة أطلق عليها اسم : مؤسسة نوبل) :

Nobelstiftelesen Nobel Foundation

لتوزيع الريع السنوي لذلك المبلغ بين خمس جوائز تمنح كل منها في كل عام لأفضل بحث في : الفيزياء والكيمياء والفسلجة أو الطب والأدب وفي موضوع

السلام العالمي • (وقد اضيفت جائزة للآداب وأخرى في الاقتصاد منذ عام ١٩٦٩) • ويجوز أن يتقاسم الجائزة الواحدة في موضوع واحد أكثر من شخص واحد على أن لا يزيد العدد عن ثلاثة أشخاص (يساهمون في موضوع مشترك أو تكون أبحاثهم كل على انفراد في موضوع واحد ذات مستوى متقارب من الاصالة العلمية) بنظر لجنة التحكيم التي سيأتي ذكرها بعد قليل •

ولا يشترط في من ينال الجائزة شروطاً أخرى عدا الجانب العلمي بصرف النظر عن الاعتبارات السياسية والدينية والايديولوجية وما يجري مجراها•

وجائزة نوبل — بالاضافة الى كونها رمزاً للمكانة العلمية الممتازة على النطاق العالمي — هي أيضاً ذات مردود مادي تراوح في ١٩٧٦ مثلاً ما بين ٣٠٫٠٠٠ دولار و١٦٠٫٠٠٠ دولار •

- ٢ -

يرسل الاشخاص الذين يجدون في أنفسهم الأهلية أو الكفاءة في الفيزياء أو الكيمياء أبحاثهم لنيل جائزة نوبل الى « أكاديمية العلوم الملكية السويدية » حيث توجد لجنة التقييم والانتقاء والترشيح والمنح، وهي لجنة ينتخب أعضاؤها لمدة تتراوح ما بين ثلاث سنوات وخمس سنوات من بين أبرز أعضاء الأكاديمية مضافاً اليهم أعضاء بارزون في الفيزياء والكيمياء ترشحهم الجامعات الاسكندينافية الثمان البارزة .

ويرسل الاشخاص الذين يجدون في أنفسهم الكفاءة لنيل جائزة نوبل في الفسلجة أو الطب أبحاثهم الى « معهد كارولين الطبي » في مدينة ستوكهولم حيث توجد لجنة مختصة (مماثلة للجنة المار ذكرها) ينتخب أعضاؤها للفترة ذاتها من بين أبرز أعضاء الهيئة التدريسية البارزين في موضوع الفسلجة والطب عموماً مضافاً اليهم مرشحين بارزين في الفسلجة

والطب يمثلـون الجامعـات الاسكندينافية الثمـان البارزة •

أما الأبحاث المرتبطة بالأدب فيرسلها أصحابهـا الذين يجدون في أنفسهم القدرة على نيل جائزة نوبل أو الجمعيات أو الهيئـات الأدبيـة الى « الأكاديميـة السويدية » في استوكهولم : المعنية بالدراسات الأدبية والفنية ، وهي بمنزلة أكاديمية العلوم السويدية المـار ذكرهـا ، حيث توجـد لجنة مماثلة ، لكن أعضاءهـا مختصون بالأدب بالطبـع • وأما الابحاث المرتبطـة بالسلام والتفاهم الدولي فيرسلها الذين يجـدون في أنفسهم الكفاءة لنيل جائزة نوبل للسلام الى « البرلمان النرويجي» Norwegian Sorting

وأسماء المرشحين تحاط بالسرية التامة حتى موعد اعلانها • كما تبقى كذلك أسماء غير المرشحين • وهذا أحد المآخذ على التحكيم كما سنرى بعد قليل • وعند اعلان أسماء المرشحين لنيل الجائزة فانهم يحضرون في

الموعد المعين ـ الذي سيأتي ذكره بعد قليل ـ الى مدينة ستوكهولم لنيل جوائزهم الى أن يوزعها عليهم ملك السويد نفسه في حفل مهيب يلقي فيه كل واحد منهم كلمة قصيرة بين يدي الملك وأعضاء لجان التحكيم •

ـ ٣ ـ

نظراً لحصول بعض الملابسات والتعقيدات والاجراءات القضائية المرتبطة بقضايا التركات والوصايا وتوزيع الارث فقد تأخر توزيع الجائزة الاولى الى يوم ١٠/١٢/١٩٠١ (بدلا من يوم ١٠/١٢/١٨٩٦ : يوم وفاة الفرد نوبل) • واستمر يحصل في التاريخ نفسه كل عام منذ ذلك الحين حيث استقر الوضع القانوني لمؤسسة نوبل التي مر ذكرها •

ـ ٤ ـ

لقد أصبح نيل جائزة نوبل رمزاً للتكريم في أرفع مستوياته على النطاق العالمي • وهذا التكريم العالمي

لا يقتصر على الاختصاص الضيق الذي منحت الجائزة لقاء الأصالة فيه ـ بنظر لجنة التحكيم ـ وإنما أيضاً في تبوأ حامل الجائزة منزلة اجتماعية مرموقة بنظر مواطنيه وفي مقدمتهم كبار المسؤولين عن ادارة شؤون الدولة • وبدأت الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية ـ الخاصة والعامة ـ ودور النشر تتسابق للاستئثار بالشخصيات التي نالت الجائزة في الموضوعات العلمية (الفيزياء ، الكيمياء ، الفسلجة أو الطب) واستثمار شهرتهم لرفع منزلتها الاكاديمية • والامثلة على ذلك يتعذر حصرها • وقد بلغ بعضها حداً يثير الدهشة والاستغراب •

فكثير من دور النشر يتبجح بكونه نشر كتاباً (أو فصلا من كتاب ، أو مقدمة لكتاب) ساهم فيه أحد الحائزين على جائزة نوبل • وكثير من الجامعات يقتفي هذا الأثر • فجامعة كاليفورنيا في بيركلي مثلاً تعتز بكونها تضم ـ في هيئتها التدريسية ـ تسعة من حملة

جائزة نوبل قبل بضعة أعوام • وجامعة هارفرد تفخر بوجود ثمانية منهم في حرمها •

ويبدو ان الاعتزاز هذا بحملة الجائزة لم يقف عند الحد الذي ذكرناه فقد تجاوزه وأصبح بعض الجامعات يفخر **بكون هذا الحائز على الجائزة** أو ذاك كان يوماً ما طالباً في تلك الجامعة أو انه كان أحد أعضاء هيئتها التدريسية ، أو انه ألقى محاضرة عامة فيها أو حضر مؤتمراً علمياً عقد فيها أو أشرف على رسالة ماجستير أو دكتوراه أنجزها أحد طلابها •

ومن هذه الزاوية بدأ تنافس الجامعات ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الخاصة والحكومية على « امتلاك » الحائزين على جائزة نوبل • ومن طريف ما يروى في هذا الباب ان إحدى عشرة جامعة في الولايات المتحدة ادعت ــ قبل بضع سنوات ـ ان ليمان الحائز على جائزة نوبل محسوباً عليها ، وان عشراً منها ادعت « ملكية » يوري بعد ان حاز على جائزة نوبل

في الكيمياء • وحدث شيء مماثل في حالة كل من عالمي الكيمياء دويزي ونورثروب بعد حصولهما على جائزة نوبل • وقد بلغ الأمر بجامعة شيكاغو أن ادعت أن لها «حصة» في «ملكية» عالم الكيمياء السويدي تايسلس (أقول السويدي لا الامريكي) بحجة كونه صرف عاماً دراسياً يعمل في أحد مختبراتها أثناء تحضيره رسالة الدكتوراه (قبل الحصول على جائزة نوبل بفترة طويلة نسبياً بالطبع) • كما بلغ الأمر أيضاً حداً مماثلا بجامعة برنستن الامريكية بالنسبة لعالم الفيزياء البريطاني ديراك على أساس انه عمل ـ قبل حصوله على جائزة نوبل ـ أستاذاً زائراً فيها لفترة قصيرة من الزمن • ولعل الامر لا يقف عند هذا الحد ـ لو كانت لدينا معلومات موثوق بها ـ لرأينا شيئاً مشابهاً يحصل لدى سكان المنطقة التي يسكن فيها أحد الحائزين على جائزة نوبل ولدى المخزن الذي يشتري منه ولدى المدرسة التي يتعلم بها أحد أبنائه • وهكذا مما نستطيع أن نسمي منه الكثير •

ومن الجهة الثانية : فان الحائزين على جائزة نوبل في العلوم كثيراً ما يتجاوزون ـ بنظر غيرهم ـ مجال تخصصهم العلمي الدقيق (من الناحية الاكاديمية) ويقحمون أنفسهم ـ على ما يقول بعض الناس ـ في أمور أخرى لا علاقة لها بصميم اختصاصهم و «لا ناقة ولا جمل» لهم فيها • فقد وقّع مثلا أربعة من حملة جائزة نوبل الامريكيين طلباً الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة (جونسن) في عام ١٩٧٠ طالبوه فيه بايقاف حرب فيتنام وسحب الجنود الامريكيين من ساحات القتال التي تبعد عن موطنهم آلاف الاميال • وقدم (٨٩) عالماً من حملة جائزة نوبل يمثلون الولايات المتحدة وبعض أقطار اوربا الغربية طلباً الى رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي (بودكورني) في عام ١٩٧٣ ـ نشروه في جريدة نيويورك تايمس ـ يناشدونه فيه الرأفة بعالم الفيزياء السوفيتي زخاروف رداً على بيان نشره في جريدة البرافدا حائزو جائزة نوبل السوفييت يشجبون فيه تصرفات زخاروف

المناوئة للنظام الاشتراكي حسب تقديرهم . وقدم أربعة من حاملي جائزة نوبل الفرنسيين الى الجنرال ديكول رئيس الجمهورية في عام ١٩٦٧ نددوا فيه بمعهد باستور العلمي ودعوا الى تبديل رئيسه وأعضائه لعدم كفاءتهم العلمية بنظرهم . وشجب عدد من حاملي جائزة نوبل في ولاية كالفورنيا في عام ١٩٧٤ تنديد الكنيسة بنظرية دارون وشجبوا أيضاً انتشار التنجيم وقراءة الكف بين المواطنين .

كل ذلك — وما يجري مجراه وهو كثير — أثار حفيظة بعض الناس بمن فيهم علماء ذوو مكانة مرموقة وأدى — من بين أمور كثيرة أخرى — الى نقد (لاذع أحياناً) والى تهجم ملحوظ على الجائزة ذاتها وعلى حامليها وعلى كثير من الجامعات . وقد بلغ ذلك النقد (والتهجم) حداً جعل بعض أنصار مدرسة التحليل النفسي يتهمون حملة جائزة نوبل بالذات بكونهم مصابين بما يسمونه « عقدة نوبل » Nobel Complex

وهي على غرار عقدة أوديب المعروفة Oedipus Complex

لا شك عندي في أن الحائزين على جائزة نوبل — المتجنى عليهم بالشكل الذي ألمعنا اليه — هم بالدرجة الاولى والاهم مواطنون ولهم الحق — كغيرهم — في أن يبدوا رأيهم في كثير من الامور وبخاصة تلك التي يرتأون — بحكم تخصصهم العلمي — انهم ملزمون أدبياً بابداء آرائهم بصددها • يضاف الى ذلك — ولا يقل أثراً عنه — انهم يرون ان العلم النظري أداة لمناقشة كثير من الآراء الشائعة الناجمة عن غير طريق العلم • كما انهم يرون ان لهم الحق في إبداء آرائهم في استخدام منجزات العلم التكنولوجية في غير مصلحة المجتمع البشري • وهذه تقاليد علمية متبلورة منذ القرن السادس عشر في عهد كوبرنكس وكبلر وغاليلو بصورة خاصة • وقد عرضهم ذلك للاضطهاد والمضايقة ومحاكم التفتيش بالشكل المعروف • وهذا يعني — بعبارة أخرى — ان للعلم

النظري والتكنولوجي المعاصر بصورة خاصة وظيفة اجتماعية بدأت طلائعها في عام ١٩٣٩ ـ أثناء بداية الحرب العالمية الثانية ـ بكتاب نشره عالم الفيزياء البريطاني المشهور جون برنال ترجمة عنوانه «الوظيفة الاجتماعية للعلم» The Social Function of Science ثم تبلور هذا الاتجاه في عام ١٩٤٨ عندما أصدر آينشتين وماكس بورن وفئة أخرى من حملة جائزة نوبل في الفيزياء بياناً شجبوا فيه القاء القنبلة النووية على مدينة هيروشيما ومدينة ناكازاكي اليابانيتين قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية ودعوا الى الكف عن استخدام الطاقة النووية لأغراض الحرب وحذروا رئيس جمهورية الولايات المتحدة آنذاك (ترومن) من مغبة الاستمرار في ذلك النهج • وتبلور ذلك الاتجاه مرة أخرى في عام ١٩٥٥ في النداء التأريخي المشهور « نداء ستوكهولم » الذي نشره الفيلسوف البريطاني المشهور وعالم الرياضيات برتراند رسل (الحائز على جائزة نوبل) وفريق من العلماء الحائزين أيضاً على

جائزة نوبل : آينشتين وماكس بورن ويادلنك وديراك وآخرون •

وفي ضوء ما ذكرنا نستطيع أن نقول ان تأريخ العلم الحديث بصورة خاصة ـ منذ القرن السابع عشر ـ مفعم بالامثلة الدالة على الجهود المضنية التي صرفها العلماء على اختلاف اختصاصاتهم ومنطلقاتهم الايديولوجية في خدمة الجنس البشري مادياً ومن الناحية الثقافية • ومن الجهة الثانية فقد أصبح للعلم النظري ولمنجزاته التكنولوجية في هذا العصر الذي نعيش فيه الأثر العميق في حياة الناس وبخاصة في المجتمعات المتقدمة من الناحية الثقافية لكون العلم أزاح عن أذهان الناس كثيراً من الآراء اللاعلمية في تفسير طبيعة الكون والمجتمع والانسان ومن الناحية المادية المرتبطة بمنجزات العلم التكنولوجيةواستخدامها في التعليم والطب والمواصلات وفي الصناعة والزراعة • ومن ناحية التقدم العلمي المذهل الذي حصل في هذا القرن الذي نعيش فيه وبخاصة فيالحقل

التكنولوجي فان الجنس البشري يواجه قضايا اجتماعية بالغة الاهمية لم تحدث لدى أسلافه في مجرى تأريخهم الطويل يتوقف عليها مستقبل النوع الانساني بأسره والحضارة الانسانية ، وهذا واضح ـ بالدرجة الاولى والاهم ـ في انتاج أسلحة الدمار الجماعي النووية والبكتريولوجية والكيمياوية من جهة وفي تلويث البيئة واستنزاف الثروة المعدنية الكامنة في باطن الارض وما يجري هذا المجرى •

كل ذلك أدى ـ من بين أمور كثيرة أخرى ـ الى نشوء حركة فكرية اجتماعية واسعة النطاق بين علماء الطبيعة أنفسهم على اختلاف تخصصاتهم وعقائدهم السياسية من جهة وفي أوساط الناس عموماً على اختلاف مشاربهم ومهنهم من جهة ثانية للوقوف بحزم ضد استخدام منجزات العلم لأغراض غير انسانية • فقد رفع آينشتين وجولييت كوري وآخرون من هذا الطراز صوت العلم لتحقيق أغراض انسانية

في حركتهم المعروفة باسم Pugwash كما رفع أطباء بارزون وعلماء البيئة أصواتاً مماثلة للغرض نفسه وإن كانت تلك المحاولات ما زالت في بداية الطريق من حيث آثارها الايجابية المتكاملة • ذلك لأنها وإن كانت ضرورية إلا أنها في حد ذاتها أو لوحدها ليست كافية• وهذا يعني ــ بعبارة أخرى ــ ان مواقف العلماء المشار اليها والمعبّر عنها في نداءاتهم التأريخية المعروفة وفي مقالاتهم ومحاضراتهم لم تحل دون الاستمرار على الابحاث العسكرية في مجال الفيزياء وعلم الاحياء والكيمياء لانتاج القنابل النووية والاسلحة البكتريولوجية والكيميائية • لكنها ــ مع ذلك ــ أثارت انتباه المواطنين والساسة الى الاخطار الهائلة التي تهدد النوع الانساني والحضارة البشرية •

ــ ٥ ــ

نالت جائزة نوبل ــ في الفيزياء والكيمياء والفسلجة أو الطب ــ شخصيات علمية مرموقة اتصفت

بالأصالة والمثابرة والانصراف الى العلم ــ بنظر لجان التحكيم ــ • وهذه قوائم بأسـماء الاشخاص الذين نالوا هذه الجائزة العلمية الرفيعة منذ بدايتها في عـام ١٩٠١ حتى عام ١٩٧٦ (العام الذي توافرت لدينا فيه المعلومات الدقيقة) • في الفيزياء أولاً ثم الكيميـاء فالفسلجة أو الطب مـع ذكر قومياتهم والسـنة التي منحوا الجائزة فيها ، مع بعض التعليقات والملاحظـات بعد عرض القوائم •

أولا : قائمة بأسماء الذين نالوا الجائزة في الفيزياء :

١٩٠١ : فيلهلم روتنكن /من المانيا

١٩٠٢ : هنريك انطون لوتز
وبير زيمن | من الدنمارك

١٩٠٣ : انطونيو هنري باكويل
وماري كورين | من فرنسة

١٩٠٤ : بارون ريلف/من بريطانيا

١٩٠٥ : فليب لينارد/من المانية

١٩٠٦ : سر جوزيف جون تومسون/من بريطانيا
١٩٠٧ : البرت ميجلسن/من الولايات المتحدة
١٩٠٨ : جبرائيل لبمان/من فرنسا
١٩٠٩ : كوكلينو ماركوني/من ايطالية
١٩١٠ : جوهانز فون ديروالز/من الدنمارك
١٩١١ : فيلهلم دين /من المانية
١٩١٢ : نيلز دالهين/من السويد
١٩١٣ : هايك كاميرلنيف اونز/من الدنمارك
١٩١٤ : ماكس فونلو/من المانيا
١٩١٥ : سر وليم هنري براك/من بريطانيا
١٩١٦ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩١٧ : جارلس باركلا/من بريطانيا
١٩١٨ : ماكس بلانك/من المانيا
١٩١٩ : جوهانز ستارك/من المانيا
١٩٢٠ : جارلس كيلوم/من فرنسا
١٩٢١ : البرت آينشتين /من المانيا

١٩٢٢ : نيل بور/من الدنمارك
١٩٢٣ : روبرت ميليكان/من الولايات المتحدة
١٩٢٤ : كارل سيكيان/من السويد
١٩٢٥ : جمس فرانك وكوستاف هيرتز/من المانيا
١٩٢٦ : جان بابتس بيرون/من فرنسا
١٩٢٧ : آرثر كرتين/من الولايات المتحـدة وجارلس ولسن/من بريطانيا
١٩٢٨ : اوين ريجاردسن/من بريطانيا
١٩٢٩ : لوي دي بركلي/من فرنسا
١٩٣٠ : سر جاندرا سيخرا رامان /من الهند
١٩٣١ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٣٢ : دينر هايزنبرغ/المانيا
١٩٣٣ : بول ديراك /من بريطانيا وآيرون شرودنكر/ من النمسا
١٩٣٤ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٣٥ : سر جمس جادوك/من بريطانيا

١٩٣٦ : كارل ديفيد اندرسن/من الولايات المتحدة
وفكتور هس/من النمسا
١٩٣٧ : كلفتن دافدسن/من الولايات المتحدة
وجورج تومسن/من بريطانيا
١٩٣٨ : ايزكو فيرمي/من ايطاليا
١٩٣٩ : ارنست لورنس/من الولايات المتحدة
١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٤٣ : اوتو شترن/من الولايات المتحدة
١٩٤٤ : ايسيدو آيزاك رابي/من الولايات المتحدة
١٩٤٥ : ولفكانك بولي/من النمسا
١٩٤٦ : بيرسي وليم بريجان /من الولايات المتحدة
وسر ادورد ايلتون/من بريطانيا
١٩٤٧ : سر ادورد ايلتون/البريطاني : للمرة الثانية
١٩٤٨ : باترك بلاكيت/من بريطانيا
١٩٤٩ : هايديكي يوكاوا/من اليابان
١٩٥٠ : سر فرانك باول/من بريطانيا

١٩٥١ : سر جــون كوكروفت/البريطاني وارنســت دالتون/الايرلندي

١٩٥٢ : فلكس بلوك وادورد ملز رسل/من الولايات المتحدة

١٩٥٣ : فتس ززالن/من الدنمارك

١٩٥٤ : ماكس بورن ووالتر بوت/من المانيا

١٩٥٥ : ويلز لامب الابن وبوليكاب كسج/من الولايات المتحدة

١٩٥٦ : جون باردين وولتر باردين ووليم شــاكلي/ من الولايات المتحدة

١٩٥٧ : تزنك داولي وجين ننك يانك/من الصين ــ اشتغلا في الولايات المتحدة ــ

١٩٥٨ : بيفل جيرنكوف واليا فرانك والكورتام/ من الاتحاد السوفيتي

١٩٥٩ : رونالد كلازر/من الولايات المتحدة

١٩٦٠ : اميلد سيرجي واوين جمبرلــن/من الولايات المتحدة

١٩٦١ : روبرت هوفستار /من الولايات المتحدة
ورادولف موسيسور من المانيا

١٩٦٢ : ليف رافيدوفش لاندو/من الاتحاد السوفيتي

١٩٦٣ : يـوجين باول‌واكنز وماريـا كوبرماير /من
الولايات المتحدة وهانس جنسن/من المانيا

١٩٦٤ : جارلس تاونز/من الولايات المتحدة ونيكولاي
بازوف والكساندر بروخوردن/من الولايات المتحدة

١٩٦٥ : ســن ازو تومو ناكا/من اليـابان وجوليـان
سجونكر وريجارد فيرار/من الولايات المتحدة

١٩٦٦ : الفرد كاتسلر/من فرنسا

١٩٦٧ : هانز البرك بت/من الولايات المتحدة

١٩٦٨ : لوي الفاريز/من الولايات المتحدة

١٩٦٩ : مورين سل ــ مان/من الولايات المتحدة

١٩٧٠ : هانس ادلف كوستاف/من السويد
ويوجين نيل/من فرنسا

١٩٧١ : دنس كابور/من بريطانيا

١٩٧٢ : جون باردين وليون كور/من الولايات المتحدة
١٩٧٣ : ايغار جافير من الولايات المتحدة
وليو ايزاكي من اليابان
وبراين جوزيفسن من بريطانيا
١٩٧٤ : انتوني هيوش | من بريطانيا
وسر مارتن رايل
١٩٧٥ : آج بور | من الدنمارك
وبين موفوسلام
وجيمس ريتوز/من الولايات المتحدة
١٩٧٦ : بيرتن رنجتر
وصموئيل تنك/من الولايات المتحدة

لو أمعنا النظر في مجمل القائمة منذ ابتداء توزيعها حتى عام ١٩٧٦ (وهو العام الذي تتوافر لنا المعلومات الدقيقة عنه) لرأينا العلماء الالمان والامريكيين والبريطانيين يستأثرون بحصة الاسد من بين الاشخاص الذين فازوا بها .

ولو أمعنا النظر في القائمة المعنية بين فترتين : ١٩٠١ــ١٩٣٢ و١٩٣٣ــ١٩٧٦ (السنة التي لدينا احصاء دقيق عنها) لوجدنا توزيع الجوائز يتم على النحو الآتي : بين ١٩٠١ــ١٩٣٢ : (التي اتخذناها حداً فاصلا بين هاتين الفترتين بفعل هيمنة النازية الهتلرية في المانيا ، وانتشار الآراء الفاشية القادمة من ايطاليا في عهد موسوليني) ومحاربة الفكر والحرية الاكاديمية في أرجاء القارة الاوربية بالذات واندحار المانيا في الحرب العالمية الثانية وانقسامها الى شرقية وغربية من جهة وفتح الولايات المتحدة أبوابها وامكانياتها للعلماء [أو ما يسمى «هجرة العقول» أو «استنزاف الادمغة» Brain Drain كما سنرى بعد قليل] : بين ١٩٠١ــ١٩٣٢ : نالت المانيا (١١) جائزة نوبل في الفيزياء • ولم تنل الولايات المتحدة في الفترة ذاتها سوى (٤) جوائز • ونالت الدنمارك (٦) جوائز، وفرنسا (٧) جوائز• في حين ان الفترة الثانية (١٩٣٣ــ١٩٧٦) : شهدت تحولاً مذهلاً في توزيع الجوائز :

فقد نالت الولايات المتحدة (٣٢) جائزة (مع ملاحظة ان أغلب الفائزين بالجائزة يحملون أسماء المانية) بينما نالت المانيا (٤) جوائز فقط • ونالت الدنمارك وفرنسا جائزتين لكل منهما • أما بريطانيا فاستمرت كما كانت في تقدمها أثناء الفترتين وذلك لتوافر ظروف العمل العلمي الاكاديمي في جامعتيها العريقتين : كمبرج واكسفورد بالدرجة الاولى والاهم •

ذلك ما يتصل بجوائز نوبل في الفيزياء منذ نشوئها عام ١٩٠١ وحتى عام ١٩٧٦ • أما ما يتصل بجوائز نوبل في الكيمياء في الفترة ذاتها فهذه القائمة المطلوبة:

ثانياً : جوائز الكيميـاء :

١٩٠١ : جاكوبسن فان هوف/من المانيا
١٩٠٢ : اميل فسجر/من المانيا
١٩٠٣ : سفانت اوكست آرهيرنس/من السويد
١٩٠٤ : السر وليم رامزي/من بريطانيا
١٩٠٥ : ادولف فان بافير/من المانيا

١٩٠٦ : هنري موبسان/من فرنسا

١٩٠٧ : ادورد بجنر/من المانيا

١٩٠٨ : ارنست رذرفورد/من بريطانيا

١٩٠٩ : فيلهلم اوسترالد/ من المانيا

١٩١٠ : اوتو دالاج/من المانيا

١٩١١ : فرانسوا اوكست فكتور كرنارد
وبول ساباتيبه/من فرنسا

١٩١٢ : ماري كوري/من فرنسا

١٩١٣ : الفرد ويرنر/من سويسرة

١٩١٤ : ثيودور ريجاردز/من الولايات المتحدة

١٩١٥ : ريجارد دلستاز/من المانيا

١٩١٦ــ١٩١٧ : لم تمنح الجائزة لأحد

١٩١٨ : فرتز هيبر/من المانيا

١٩١٩ : لم تمنح الجائزة لأحد

١١٢٠ : والتر تريست/من المانيا

١٩٢١ : فردريك سودي/من بريطانيا

١٩٢٢ : فرانسس آستون/من بريطانيا
١٩٢٣ : فرانس بيكال/من النمسا
١٩٢٤ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٢٥ : ريجارد زكموندي/من المانيا
١٩٢٦ : ثيودور سفدبرغ/من السويد
١٩٢٧ : هنريخ وايلاند/من المانيا
١٩٢٨ : ادولف دندوز/من المانيا
١٩٢٩ : سر آرثر هاردن /من بريطانيا
وفون يولر جبلن/من المانيا
١٩٣٠ : هانس فسجز/من المانيا
١٩٣١ : كارل بوسج وفردريك بيرجس/من المانيا
١٩٣٢ : ارفنك لانكمور/من الولايات المتحدة
١٩٣٣ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٣٤ : هارولد كلايتون يوري/من الولايات المتحدة
١٩٣٥ : فردريك جوليو كوري وآيرين جوليو كوري/من فرنسا

١٩٣٦ : بيير ديبي/من الدنمارك

١٩٣٧ : سر ولتر هارون/من بريطانيا

وبول كارر/من سويسرة

١٩٣٨ : ريجارد كاهن/من المانيا

١٩٣٩ : ادولف بيوتينابت/من المانيا

وليوبولد روزيكا/من سويسرة

١٩٤٠–١٩٤٢: لم تمنح الجائزة لأحد في أعوام ١٩٤٠ و١٩٤١ و١٩٤٢

١٩٤٣ : جورج فون هيفسي/من هنكاريا

١٩٤٤ : اوتو هاهن/من المانيا

١٩٤٥ : آرثوري فيرثانن/من فنلندة

١٩٤٦ : جيمس سمر وجون نورثروب/من الولايات المتحدة

١٩٤٧ : سر روبرت روبنسن/من بريطانيا

١٩٤٨ : آرن يايسلس/من السويد

١٩٤٩ : وليم فرنسس جايكو/من الولايات المتحدة

١٩٥٠ : اوتو وايلز وكرت ادلر/من المانيا

١٩٥١ : ادون ماكليلان ودكلين سيربورغ/من الولايات المتحدة

١٩٥٢ : آرجر مارتن وريجارد سانيك/من بريطانيا

١٩٥٣ : هيرمان شرودنكر/من المانيا

١٩٥٤ : لاينس بادكنك/من الولايات المتحدة

١٩٥٥ : فنسنت دو فيكنود/من الولايات المتحدة

١٩٥٦ : سر هينشلوود /من بريطانيا

ونيكولاي سايمونوف/من الاتحاد السوفيتي

١٩٥٧ : اللورد رذر فورد/من بريطانيا

١٩٥٨ : فردريك سانكر/من بريطانيا

١٩٥٩ : جاروسلاف هيروفيزكي/ من جيكوسلوفاكيا

١٩٦٠ : ولارد ليبي/من الولايات المتحدة

١٩٦١ : ميلفن كالفن/من الولايات المتحدة

١٩٦٢ : جون كوردي كندرو وماكس فردناند بيروتز/من بريطانيا

١٩٦٣ : كيلوفاتا/من ايطاليا

وكارل زكلر/من المانيا

١٩٦٤ : دوروثي هودكن/من بريطانيا

١٩٦٥ : روبرت بيرنز وودرو/من الولايات المتحدة

١٩٦٦ : روبرت مليكز /من الولايات المتحدة

١٩٦٧ : مانفرد يوجين/من المانيا

ورونالد نورش وجورج بورتر/من بريطانيا

١٩٦٨ : لورنز ادنسيكر/من الولايات المتحدة

١٩٦٩ : ديريك بارتون/من بريطانيا

واولد هازيل/من النروج

١٩٧٠ : لويس فردريك ليلوار/من الارجنتين

١٩٧١ : كيرهارد هيرزبيرغ/من كندة

١٩٧٢ : كريسجين انفنسن وستانفورد مور ووليم شتاين/من الولايات المتحدة

١٩٧٣ : جيفوري دلكلنسن/من بريطانيا

وارنست فسجر/من المانيا

١٩٧٤ : بول جون فلوري/من الولايات المتحدة

١٩٧٥ : جونْ داركب كوفهورت/من استراليا
وفلاديمير بريلوك/من سويسرة
١٩٧٦ : وليم ميبسكوب/من الولايات المتحدة

تحمل القائمة الكيمياوية (٨٠) جائزة نالها (٩٥) عالماً كيمياوياً من (١٥) قطراً كانت حصة العلماء الالمان منها (٢٣) جائزة وحصة العلماء الامريكيين (١٩)جائزة وحصة العلماء البريطانيين (١٩) جائزة أيضاً • وهكذا تنازلياً على النحو الآتي : فرنسا (٦) وسويسرا (٤) والسويد (٣) والدنمارك (٢) وكل من هنكاريا وفنلندة وايطاليا وجيكوسلوفاكيا والارجنتين وكندا : جائزة واحدة •

ولنعد الآن ـ كما عدنا في قائمة الفيزيائيين ـ لنلاحظ الحصص في الفترتين المشار اليهما :

١٩٠١ـ١٩٣٢ و ١٩٣٣ـ١٩٧٦ ، ففي الفترة الاولى (١٩٠١ـ١٩٣٢) : نلاحظ ان علماء الكيمياء الالمان وحدهم نالوا (١٥) جائزة • في حين ان علماء

الكيمياء الامريكيين لم يحصلوا إلا على جائزتين فقط من أصل (٨٠) جائزة مخصصة • أما في الفترة الثانيـة (١٩٣٣ــ١٩٧٦) فقـد انقلب الامر رأسـاً على عقب، للعوامل التي ذكرناهـا : فقد نال علمـاء الكيميـاء الامريكيون (١٧) جائزة ونال زملاؤهم الالمـان (٩) جوائز فقط ، أي نصف مجمـوع ما نالـه العلمـاء الامريكيون •

أما الجوائز العلميـة الاخرى فهي التي خصصت ــ كمـا ذكرنا ــ الفسـلجة والطب • وهـذه قائمة بأسماء الفائزين مع الاقطار التي ينتمون اليها :

ثالثاً : قائمة الفسـلجة والطب :

١٩٠١ : اميل فون بيهرنك/من المانيا

١٩٠٢ : سر رونالد روس/من بريطانيا

١٩٠٣ : نيل رايبرغ فنسن/من الدنمارك

١٩٠٤ : ايفان بتروفش بافلوف/من روسيا القيصرية

١٩٠٥ : روبرت كوخ/من المانيا

١٩٠٦ : كاميلو كولجي/من ايطاليا

وسانتيا كاجال/من اسبانيا

١٩٠٧ : جارلس لويس الفونس لافرن/الفرنسي

١٩٠٨ : بول اهرلج/من المانيا

وايلي متجنكوف/من روسيا القيصرية

١٩٠٩ : اميل ثيودور كرجر/من سويسرة

١٩١٠ : البرخ كوسل/من المانيا

١٩١١ : اليغا كلسيتراند/من السويد

١٩١٢ : الكسي كارل/من فرنسا

١٩١٣ : جارلس روبرت ريجت/من فرنسا

١٩١٤ : روبرت باراني/من النمسا

١٩١٥ و١٩١٦ و١٩١٧ و١٩١٨ : لم تمنح أثناءها الجائزة لأي أحد .

١٩١٩ : جولز بوردت/من بلجيكا

١٩٢٠ : اوكست كردخ/من الدنمارك

١٩٢١ : لم تمنح الجائزة لأحد

١٩٢٢ : ارجيبولد هل/من بريطانيا

واوتو ماينهوف/من المانيا

١٩٢٣ : سر فردريك كرانت باتننك/من كندة
وجون ماكليود/من اسكتلندة
١٩٢٤ : وليم آينشوفن/من الدنمارك
١٩٢٥ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٢٦ : جوهانس فيجنر/من الدنمارك
١٩٢٧ : جوليوس فاكنر فون كوريك/من النمسا
١٩٢٨ : جارلس نيكولا/من فرنسا
١٩٢٩ : كريسجين ايجكمان/من الدنمارك
وسر فردرك هوبكنز/من بريطانيا
١٩٣٠ : كارل لاند شتاينر/من الولايات المتحدة
١٩٣١ : اوتو دابيرك/من المانيا
١٩٣٢ : لايجر ادريان وجارلس شيرنكتن/من بريطانيا
١٩٣٣ : توماس موركان/من الولايات المتحدة
١٩٣٤ : جورج مانيوث ووليم مورفي وجورج هوبل/
من الولايات المتحدة
١٩٣٥ : هانس سبيمان/من المانيا

١٩٣٦ : سر هنري ريل/من بريطانيا
واوتو لادي/من النمسا
١٩٣٧ : البرت زينث بيورجي/من هنكاريا
١٩٣٨ : كورنيل هيمان/من بلجيكا
١٩٣٩ : كيرهارد دومنان/من المانيا
١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ : لم تمنح الجائزة لأحد
١٩٤٣ : هنريك دام/من الدنمارك
وادورد دوسي/من الولايات المتحدة
١٩٤٤ : جوزيف ايرلانكر وهربرت كاسر/من الولايات المتحدة
١٩٤٥ : سر الكساندر فلمنك وهارولد فلوري
وارنست جين/من بريطانيا
١٩٤٦ : هيرمن جوزيف مولر/الولايات المتحدة
١٩٤٧ : كارل جيرتي كوري/الولايات المتحدة
وبرنارد هوسي/من الارجنتين
١٩٤٨ : بول مولر/من سويسرة

١٩٤٩ : والتر هيس/من سويسرة
وانطونيو مونز/من البرتغال
١٩٥٠ : فليب هينج وادورد كيندال/من الولايات المتحدة
وتاديوس رايجستين/من سويسرة
١٩٥١ : ماكس تايلر/من جنوبي افريقيا
١٩٥٢ : سالمان واكسمان/من الولايات المتحدة
١٩٥٣ : فرتز البرت ليمان/من الولايات المتحدة
وادولف كيرز/من بريطانيا
١٩٥٤ : جون اندرز وتوماس ولر وفردريك روبنز/
من الولايات المتحدة
١٩٥٥ : هوكر تيوريل/من السويد
١٩٥٦ : اندري كورنالد ودكنسن ريجارد زابين/
من الولايات المتحدة
وورنر فورسمان/من المانيا
١٩٥٧ : دانيال بوفت/من ايطاليا
١٩٥٨ : جورج ويلز بيدل وادورد لوي تاتوم

وجو شابا ليدربرغ/من الولايات المتحدة

١٩٥٩ : سفر اوجوا وآرثر كورنبرغ/من الولايات المتحدة

١٩٦٠ : سر ماكفارلن رونت/من استراليا
وبيترو مرور/من بريطانيا

١٩٦١ : جورج فرد بيكيزي/من الولايات المتحدة

١٩٦٢ : جمس ودنسن/من الولايات المتحدة
وفونسس كريك وموريس ولكنس/من بريطانيا

١٩٦٣ : سر جون كيرو اكلكس/من استراليا
والن لويد هودكن واندرو فيلدنك هكسلي/ من بريطانيا

١٩٦٤ : كونراد بلوخ/من الولايات المتحدة
وفيودور لين/من المانيا

١٩٦٥ : فرانسوا جاكوب واندري لاوف وجاك مونرد/من فرنسا

١٩٦٦ : فرانسس بيتان روس وجارلس هكنس/ من الولايات المتحدة

١٩٦٧ : راكنر كرانت/من السويد

وكيفر هاردلين وجورج والر/من الولايات المتحدة

١٩٦٨ : روبرت هولي وكوبيتر خارونا ومارشال نايتبرغ/من الولايات المتحدة

١٩٦٩ : ماكس ويلبرك والفرد هيرشي وسلفادور لوريا/من الولايات المتحدة

١٩٧٠ : جوليوس اكسلورد/من الولايات المتحدة

وبرنارد كاتز/من بريطانيا

وسفانت فون بونر/من السويد

١٩٧١ : ايرل سيثرلاند الابن/الولايات المتحدة

١٩٧٢ : جيرالد ايدلمان/من الولايات المتحدة

وردني بورتر/من بريطانيا

١٩٧٣ : نيكولاس تنبركن/من الدنمارك

وكونارد لورينز وكارل فون فرســج/ من النمســا

١٩٧٤ : كريسجين دي دوف/من بلجيكا
والبرت كلود وجورج بالايد/من الولايات المتحدة

١٩٧٥ : دايفد بالتمور/من الولايات المتحدة
وريناتو دوبلكو/من ايطاليا ، أجرى بحثه في الولايات المتحدة
وهاورد تمين/من الولايات المتحدة

١٩٧٦ : باروخ بلومبرغ/من الولايات المتحدة
وكارلتن كاجدسك/من الولايات المتحدة

تتضمن قائمة جوائز نوبل في الفســلجة والطب (٦٧) جائزة نالها (٩٣) عالماً من الاقطار المذكورة ازاء اسم كل منهــم • وقد نال العلمــاء الامريكيون (٤٤) جائزة منها • ونال العلماء الالمان (١٠) جوائز • ولــو سرنا على نسق ما فعلناه في جوائز الفيزياء والكيمياء

وقسمنا الفترة الزمنية التي بين أيدينا الى قسمين أيضاً: هما : الفترة الاولى : ١٩٠١ــ١٩٣٠ والفترة الثانية : ١٩٣١ــ١٩٧٦ لوجدنا ان عـدد العلماء الالمان الذين نالوها بلغ (٦) وان أول الحائزين عليها في عام ١٩٠١ كان عالماً المانياً • في حين ان عالماً امريكياً واحداً فقط نالها وكان ذلك أيضاً في آخرها (١٩٣٠) ، أما في الفترة الثانية فقد تغيرت الحال تغيراً جذرياً إذ بلغ مجمـوع العلماء الامريكيين الذين ظفروا بالجائزة (٤٣) عالمـاً في حين انه لم ينلها من العلماء الالمان إلا (٤) علمـاء فقط • وذلك للاسباب التي ذكرناها •

- ٦ -

هاجر الى الولايات المتحدة منذ بداية عام ١٩٣٠ بالذات بفعل فقدان « الحرية الاكاديمية » في المانيـا وايطاليا بالدرجة الاولى وبفعل الاغراء الامريكي وتوافر الامكانيات الهائلة المادية والفكرية سبعة علماء لامعون

نالوا جائزة نوبل قبل الهجرة بفترة طويلة أغلبهم من المانيا • وهم : البرت آينشتين وجمس فرانك وفيكتور هيس وبيتر ديبي واوتو ليوي واوتو بيرهوف ونيل بور من بلجيكا وارنيكو فيرمي من ايطاليا • وقاموا بالتدريس في الجامعات الامريكية الكبرى وفي معاهدها العلمية المشهورة وأشرفوا على تدريب فئة كبيرة من العلماء الشباب في الولايات المتحدة الذين نالوا جائزة نوبل بعد ذلك وعلى أساسه • يضاف الى ذلك – ولا يقل أثراً عنه – ان كثيراً من العلماء اللامعين الآخرين هاجروا بعد ذلك بفترة وجيزة لاستكمال أبحاثهم في الولايات المتحدة ونالوا جائزة نوبل بعد اقامتهم في وطنهم الجديد بفترة وجيزة جداً • وفي مقدمة هؤلاء – على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر – : وولفكانك بولي واوتو ستريك وهنريك دام • مضافاً الى ذلك علماء بارزون بدأوا أبحاثهم فور استقرارهم ونالوا جائزة نوبل • منهم

مثلاً : من هنكاريا : ليو سيزلارد وادورد تيلر • ومن بولونيا : ريجارد كورنانت وصموئيل ايلنبرغ وسانتلو السم ومارك كاك • ومن النمسا : جون فون نيومان وهينز فرانكل كورت وكارل شترن وايرون جاركوف وكيرت كوريل ومورس كولدهاير وفيكتور ديسكوف وبول ويبز وكثيرون آخرون من هذا الطراز ساهموا أيضاً في تدريب فريق من الشباب اللامعين في الولايات المتحدة وأهلوهم لنيل جائزة نوبل وبخاصة في معهد امآيتي وفي جامعة بوستن وجامعة هارفرد وجامعة كالفورنيا في بيركلي وجامعة شيكاغو وجامعةستانفورد وجامعة جورج واشنطن وجامعة روكفلر ــ التي تفخر جميعها بوجود الحائزين على جائزة نوبل ضمن أعضاء هيئاتها التدريسية ــ • أما رواد الشباب الامريكي الذين نالوا جائزة نوبل فهم : بارون وجابرلين وكانبرغ ولي وتسن ويونك • وقد هيأ هؤلاء ــ بدورهم ــ فئة أخرى من الشباب لنيل الجائزة وفي مقدمتهم كوبر وشريفرر • وهكذا دواليك •

كل ذلك شجع الولايات المتحدة على الاستمرار بعملية الاغراء وتشجيع العلماء على الهجرة اليها والاستيطان فيها • الامر الذي أثار ضجة كبرى تردد صداها في منظمة اليونسكو منذ عام ١٩٧٠ حول ما يسمى « استنزاف الادمغة » Brain Drain فقد بلغ مجموع من هاجر من العلماء الى الولايات المتحدة بالطرق المشروعة من اقطار اوربا ومن الدول المتخلفة وبخاصة من آسيا وافريقيا وبضمنها الاقطار العربية أثناء الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٧ ـ خمس سنوات فقط ـ أكثر من (٥٦٫٠٠٠) خبير مختص أغلبهم في الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلوم الطب • ومن الجهة الثانية فان أكثر من ١/٣ الحائزين على جائزة نوبل الامريكيين هم من المهاجرين وانزهاء خمس أعضاء الاكاديميات العلمية الامريكية هم أيضاً من المهاجرين الجدد الذين استوطنوا الولايات المتحدة •

- ٧ -

ولنعد الآن الى جائزة نوبل بالذات لنذكر أموراً طريفة ذات مضامين تربوية بالغة الاهمية قبل أن نتحدث عن المآخذ العلمية على جائزة نوبل •

لاحظت ــ أثناء دراستي هذا الموضوع المثير منذ أكثر من سنتين ــ وجود حالات كثيرة نال فيها جائزة نوبل بعض أبناء الاشخاص الذين نالوها في موضوع التخصص المشترك • وهي حالات نادرة بالطبع تأتي في مقدمها حالة الفيزيائي البريطاني جيجي تومسن الذي نال جائزة نوبل عام ١٩٠٦ وحالة نجله جي بي تومسن الذي نالها أيضاً في الفيزياء سنة ١٩٣٧ •وحالة عالم الفيزياء البريطاني أيضاً د•هـ• ديراك الذي تقاسم جائزة نوبل للفيزياء في عام ١٩١٥ مع ابنه و•آي• ديراك • وحالة عالم الفيزياء السويدي اولف فون بولنرال الذي نال جائزة نوبل في عام ١٩٢٩ وحالة ابنه الذي نالها في الفيزياء أيضاً في عام ١٩٧٠ • وقد

حصل ذلك أيضاً لدى الفيزيائي الدنماركي نيل بور وابنه آك بور الذي نال الجائزة بعد والده بثلاثة وخمسين سنة •

وظاهرة أخرى لاحظتها أثناء انهماكي بدراسة هذا الموضوع الطريف ان الذين نالوا جائزة نوبل — في الفيزياء بصورة خاصة — كانوا في الأعم الأغلب من الشباب ودون الثلاثين من العمر أحياناً • فلم يتجاوز و•ل•د براك — عالم الفيزياء البريطاني — مثلاً عامه الخامس والعشرين عندما نال الجائزة •وكذا الحال — مع فارق ضئيل في السن — لدى علماء الفيزياء الامريكيين : جوشوا ليدبربرغ و تي•دي لي و ك•ن يونك وجمس ووتسن •

ولاحظت أيضاً وجود تفاوت كبير في مستويات الحائزين على جائزة نوبل • بعضهم في القمة من حيث أهمية الانتاج الأصيل الذي توصل (مثل آينشتين ، بور ، فيرمي) ومنهم من يتدرج في النزول الى مراتب

متواضعة جداً • كما لاحظت أيضاً ان آينشتين بالذات لم يحصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٥ عندما وضع مبادىء نظرية « النسبية الخاصة » ولا في عام ١٩١٦ عندما أرسى أسس « النسبية العامة » بل نال الجائزة في عام ١٩٢١ لابتكار دل" على أهميته ، لا يرتفع مستواهما — : فقد نالها لصوغه قانون :
Photoelectric effect

- ٨ -

هناك مآخذ كثيرة على جائزة نوبل في الحقل العلمي من ناحية كفاءة لجان الانتقاء والترشيح ومن ناحية كيفية اجراء عملية الترشيح وسرية الاسماء وعدم قبول الاعتراضات ومن ناحية ضيق مجالات التخصص وحصرها في أربعة فروع من فروع المعرفة العلمية الكثيرة في الوقت الحاضر ومن ناحية استبعاد الرياضيات وعلم الفلك عن موضوعات التخصص

العلمية المطلوبة . كما ان هناك اعتراضات وطعوناً وجيهة على الجائزة في حقل الأدب والسلام ــ لا يعنينا أمرها هنا رغم أهميتها ــ : لأن منح الجائزة في هذين المجالين بالذات يخضع لعوامل ذاتية وايديولوجية وسياسية متعددة ومتباينة أحياناً .

أما المآخذ العلمية التي يعنينا أمرها في هذه الدراسة فيمكن ايجازها على النحو الآتي :

هناك ــ بنظر أصحاب هذه المآخذ ــ أكاديميات علمية أرقى من « أكاديمية العلوم السويدية » منها مثلا : أكاديمية العلوم الفرنسية وأكاديمية العلوم السوفيتية وبعض أكاديميات العلوم في الولايات المتحدة .

كما ان هناك أكاديميات للفنون والآداب في الاقطار المشار اليها أرقى من نظيرتها في استوكهولم . ويصدق الشيء نفسه على أقسام الطب والفسلجة الأخرى بالقياس بمعهد كارلزين في استكهولم .

يضاف الى ذلك ان سرية أسـماء المرشحين الـى لحظة منح الجائزة والحيلولة دون تقديم الاعتراضـات هما أيضاً مما تؤاخذ لجان الانتقاء والترشيح عليه .

كل ذلك أدى ـ من بين أمـور كثيرة أخرى ـ الى حرمان فئة من ألمع العلماء في الفيزياء والكيميـاء والفسلجة أو الطب من نيل جائزة نوبل التي هم جديرون بنيلها من وجهـة نظر أصحاب المآخـذ على اجراءات الترشيح والمنح ، وأسماء العلماء المشار اليهم معروفة وكثيرة نذكـر منها على سبيل التمثيل لا على سـبيل الحصر من الاحياء والاموات :

١ : آفري (١٨٧٧ـ١٩٣٥)
٢ : بار كروفت (١٨٧٢ـ١٩٤٧)
٣ : بيلس (١٨٦٠ـ١٩٢٤)
٤ : ستيرلنك (١٨٦٦ـ١٩٢٧)
٥ : بيرتلميوت (١٨٢٧ـ١٩٠٧)
٦ : بروس (١٨٥٥ـ١٩٣١)

٧ : كايتو زارد (١٨٢٦ــ١٩١٠)

٨ : كانون (١٨٧١ــ١٩٤٥)

٩ : كشنك (١٨٦٩ــ١٩٣٩)

١٠ : داندي (١٨٨٦ــ١٩٤٦)

١١ : دين (١٨٩٣ــ١٩٦٢)

١٢ : ماكي (١٨٧٤ــ١٩٥٩)

١٣ : دا هيريل (١٨٧٣ــ١٩٤٩)

١٤ : فيري (١٨٤٨ــ١٩٣٥)

١٥ : ايمبدن (١٨٧٤ــ١٩٣٣)

١٦ : ايفانز (١٨٨٢ــ١٩٧٤)

١٧ : جيرار (١٩٠٠ــ١٩٧٤)

١٨ : كبز (١٨٣٩ــ١٩٠٣)

١٩ : بانك (١٨٧٤ــ١٩٣٣)

٢٠ : هارتنكتن (١٨٩٧ــ١٩٧٢)

٢١ : لانكلي (١٨٥٢ــ١٩٢٥)

٢٢ : لويس (١٨٨١ــ١٩٤٥)

٢٣ : لوب (١٨٥٩ـ١٩٢٤)

٢٤ : ماكنس (١٨٧٣ـ١٩٢٧) : استحق الجائزة بقرار اللجنة لكنه توفي قبل موعد توزيعها •

٢٥ : ماكولم (١٨٧٩ـ١٩٦٧)

٢٦ : ميلانبي (١٨٧٨ـ١٩٣٦)

٢٧ : نيويمبرغ (١٨٧٧ـ١٩٥٦)

٢٨ : كوينكا (١٨٣٤ـ١٩٢٤) : كان يستحق جائزتين إحداهما ١٩٠٩ والثانية ١٩١٨ ولكنه لم يمنح أي منهما بحجة ان موضوع البحث وإن كان أصيلاً لكنه قديم •

٢٩ : ريتزديس (١٨٤٢ـ١٩١٩)

٣٠ : ربوس (١٨٥٠ـ١٩٢٤)

٣١ : ريبنر (١٨٥٤ـ١٩٣٢) : نشر اسمه في قائمة المرشحين لنيلها ولكن صرف النظر عنه في آخر لحظة لأسباب مجهولة •

٣٢ : سجلك (١٨٧٧ـ١٩٦٧)

٣٣ : ستيناك (١٨٦١ــ١٩٤٤) : اعتبرته اللجنة مرتين مؤهلا لنيلهـــا إحداهما ١٩٣٠ والاخرى ١٩٣٨ ولكنه لم ينلها .

٣٤ : فون ميرنك (١٨٤٩ــ١٩٠٨) : ظهر اسمه مرتين في قائمة المرشحين ولكنه لم ينلها .

٣٥ : ماينكلو فيزكي(١٨٥٨ــ١٩٣١): ظهر اسمهمرتين في قائمة المرشحين ولكنه لم ينل الجائزةلعوامل مجهولة .

٣٦ : سمث (١٨٥٩ــ١٩٣٤)

٣٧ : بار (١٩٠٨ــ)

٣٨ : كوهن (١٩١٧ــ)

٣٩ : دك (١٨٨١ــ١٩٧٠)

٤٠ : كالكار (١٩٠٨ــ)

٤١ : لوباتير (١٩١٢ــ)

٤٢ : ماكون (١٩١٢ــ)

٤٣ : ماروزي (١٩١٠ــ)

٤٤ : سيل (١٩٠٧—)
٤٥ : تاجيو (١٩١٩—)
٤٦ : ليفان (١٩٠٥—)
٤٧ : اسجيم (١٨٧٨—١٩٦١)
٤٨ : زونديك (١٨٨٧—١٩٦١)

— ٩ —

لقد مر بنا القول ان الفرد نوبل استبعد الرياضيات عن مجموعة العلوم المحدودة التي حصر الجائزة فيها • وقد استغربنا في الواقع من هـذا الموقف وذلك لأن التقدم العلمي النظري والتكنولوجي يعود في الاصل بالدرجة الاولى والاهم الى التقـدم الذي حصـل في الرياضيات والذي تستند اليه العلوم الطبيعيةالاساسية وفي مقدمتها الفيزياء والكيمياء وعلم الاحيـاء (الذي تستند اليه الفسلجة والطب بصورة عامة) • ومن الجهة الثانية فان جوهر الرياضيات يتجلى في كونهـا تؤدي

الى ابتكار آراء رياضية جديدة تؤدي بدورها الى اكتشافات علمية نظرية وتكنولوجية جديدة • وهذا يعني ان الافكار الرياضية المتقدمة هي أحد المصادر الكبيرة للتقدم العلمي النظري والتكنولوجي الحديث منذ أواخر القرن الماضي الذي شهده الفرد نوبل دون شك • فقد ثبت تأريخياً أن نشوء نظريات جديدة في الرياضيات يكون مصحوباً دائماً بحدوث تبدلات جذرية في نمط التفكير العلمي السائد في الفترة التي شهدت ظهور تلك النظريات • وهذا يتجلى بأروع أشكاله في نشوء الهندسات اللاإقليدسية وآثارها العميقة الغور والبعيدة المدى في نسبية آينشتين وفي نظرية الكم •

كل ذلك يعني — بتعبير أشمل — ان دور الرياضيات في التقدم العلمي والتكنولوجي يتضمن « تريض » Mathematization العلوم الطبيعية الاساسية : الفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء بالدرجة الاولى والاهم • وعملية « التريض » هذه يتلخص

جوهرها في استخدام أساليب التفكير الرياضي ومعطيات الرياضيات النظرية في حل قضايا علمية عويصة في الفيزياء والكيمياء وفي علم الاحياء .

وقد ثبت ان الرياضيات والفيزياء عملتا جنباً الى جنب منذ عهد نيوتن وما زالتا كذلك وان الفيزياء امتصت كثيراً من المعطيات وأساليب الفكر الرياضي دون أن تنصهر أو تذوب في الرياضيات . أي ان الفيزياء باستنادها الى الرياضيات وكون علماء الفيزياء الافذاذ هم في الأصل علماء رياضيات (مثل نيوتن وآينشتين) لم تفقد كيانها كفرع من فروع العلم . ومع ذلك فان اعتماد الفيزياء على الرياضيات جعلها علماً طبيعياً أصيلاً جديراً بهذا الاسم . وتاريخ العلم يدل بوضوح على ان العلوم الطبيعية الأكثر تقدماً واستقراراً هي التي تعبر عن معطياتها النظرية بالأساليب والمعادلات الرياضية . واستناد الفيزياء الى الرياضيات يتجلى بأروع صوره في محاولات شرودنكر التي يصف فيها عمليات فيزيائية معقدة (تحصل داخل الذرة)

بمعادلات رياضيـــة ، كما تتجلى في اكتشـــاف ديراك « الجزيئات المضادة » anti-particles بمعـــادلات رياضية .

لقد أدى تقدم الرياضيات العالية (والعلوم الطبيعية الأســاسية النظــرية المستندة اليها لا سيما الفيزيـاء والكيمياء وعلم الاحياء) الى زيادة تغلغل الانسان في أعماق الطبيعة الحية والجامدة والى الكشــف عــن أسرارها وقوانينها . كما أدى ذلك التقدم أيضــاً الى اتساع نطاق المعرفة النظرية نفســها والى تشعبها أو تعدد فروعهــا والى زيــادة حدة التخصص وضيــق مجاله . فأخذت العلوم الطبيعية النظريــة تتجه نحــو الانعزال عن بعضها وانشغل كل منها ببحث قضــاياه الضيقة المحــددة الخاصة به . وتكامــل بعض آخــر واستقل ــ تمام الاستقلال ــ عن الأصل الذي نشــأ عنه : أي ان التقدم العلمي المذهل الذي حصــل منذ منتصف القرن الماضي أدى الى تفرع مختلف العلــوم الطبيعية والى انعزالها عن بعضها انعزالاً يكاد يكون

تاماً ومطلقاً ، كما أدى أيضاً الى كثرة التخصص العلمي وضيق مجاله الأمر الذي أدى بدوره الى حدوث فجوات ملحوظة كثيرة وكبيرة بين مختلف فروع المعرفة العلمية وحرم بعضها من الانتفاع من بعض آخر . غير ان ذلك الانزال لم يستمر طويلاً فبرزت ــ نتيجة التقدم العلمي اللاحق منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ــ فروع علمية جديدة لسد الثغرات المشار اليها ، فنشأت مثلاً في ستينيات القرن الماضي « الفيزياء الفلكية » astrophysics للجمع بين الفيزياء وعلم الفلك . ونشأت في الثمانينيات من القرن نفسه « الكيمياء الفيزيائية » Physical Chemistry للتقريب (أو الجمع) بين الفيزياء والكيمياء . ثم تلتها منذ بداية هذا القرن « الكيمياء الحياتية » biochemistry للتقريب بين الكيمياء وعلم الحياة (المتباعدين) . ثم ازداد التقارب بين فروع المعرفة العلمية الاخرى في هذا القرن فنشأ مثلاً « علم الحياة الفيزيائي » biophysics الذي يدرس الظواهر الفيزيائية (مثل

الصوت والضوء) التي تحصل في جسم الانسان وتعبر عن نفسها عبر هيئة « رسائل عصبية » حسية وبصرية وسمعية (وشمية ••الخ) • كما ان الامواج الكهربائية التي تحصل في جسم الانسان (وبخاصة في الدماغ) هي أيضاً ذات طبيعة خاصة تختلف عن نظيراتها خارج الجسم الحـــي : يدرسها علم « الكهرباء الحيـــاتية » bioelectrics •وهكذا حيث نشأ أيضاً في السنوات القليلة الماضية « الطب الكوني » و « علم نفس رجال الفضاء » وعلوم وسطى أخرى كثيرة تتعذر الاحاطة بها•

كل هذا ـ كما ذكرنا ـ يدعو الى الاســتغراب من اغفال الفرد نوبل الرياضيات من جوائزه العلميــة الرفيعة • وقد حاولت أن أجد العامل الذي حدا به الى اتخاذ موقفه هذا ، فلم أجد سبباً وجيهاً سوى اشـاعة ـ لا نظن أن لها نصيباً من الصحة ـ **مفادها أن الفرد** نوبل كان في نزاع مع عالم الرياضيات السويدي البارز ميتاك ليفلر بشأن علاقة غرامية بسيدة ـ لــم يذكــر

اسمها ــ استأثر بها في نهاية الامر عالم الرياضيات•
ومهما يكن من الأمر فان علماء الرياضيات لم يحرموا
من الحصول على جوائز تقديرية ومادية لا تقل عن
جائزة نوبل • فهناك مثلاً « مداليات فيلدز »
Field's Medals التي يمنحها مرة في كل أربع سنوات
« اتحاد الرياضيات العالمي » : The International Mathematical Union.

هذا بالاضافة ــ بالطبع ــ الى وجود جوائز عالمية
أخرى كثير ــ بالاضافة الى جائزة نوبل ــ في مقدمتها
ــ على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ــ «مكافأة
جون وألس تايلر » John and Alice Tyler Award.
و « جائزة روبرت ويلج راتزان »
Robert Welch Ratzan Prize. و « جائزة معهد فرنكلن
الامريكي للكيمياء والفيزياء » و « جائزة لنن للعلوم
والآداب والفنون » و « مدالية كريس للكيمياء »
Cress Medal

والمداليات المشار اليها ذات مردود مالي يتجاوز

أحياناً مردود جائزة نوبل • فقد بلغ مثلا مقدار جائزة « جون وألسن تايلــر » (١٧٥٫٠٠٠) دولار في عــام ١٩٧٥ ومردود جائزة روبرت ويلج راتزان ١٠٠٫٠٠٠ دولار في حين أن أقصى حد منحته جائزة نوبــل في عام ١٩٧٦ كان يتراوح ما بين ٣٠٫٠٠٠ — ١٦٠٫٠٠٠ دولار •

ومع ذلك فان جائزة نوبــل العلمية تبقى المثــل الأعلــى الذي يطمح اليه العلمــاء من ذوي التفكيــر الأصيل • وسيبقى الفرد نوبــل في سجل الخــالدين وتبقى لجان الانتقاء والترشيح موضع تقــدير العلماء المنصفين رغم المآخذ عليها •

ملاحظات ختامية

بعد هذا العرض الموجز لجائزة نوبل من حيث نشوؤها والاغراض التي ترمي الى تحقيقها ومن ناحية مكانتها لدى الاوساط العلمية أود أن أقول ـ كما بدأت ـ ان باستطاعة العلماء العرب أن ينالوا هذه الجائزة العلمية الرفيعة إذا توافرت لهم الظروف البيئية الملائمة وفي مقدمتها « الحرية الاكاديمية » وتوافر الجو العلمي والسايكولوجي المريح والأدوات والاجهزة المختبرية والكتب العلمية الحديثة والمساهمة في الندوات والمؤتمرات الدولية والتشجيع المادي والمعنوي على الصعيد المحلي •

ولا بد من التنبيه هنا الى ضرورة العناية بالابحاث العلمية النظرية (الاساسية) بالاضافة بالطبع الى ربط العلم بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية • وذلك لكون الجوانب العلمية النظرية هي الدليل العلمي

للجوانب التطبيقية والتكنولوجية ولأن التطبيق الذي ينقصه الدليل النظري يكون صاحبه كحاطب ليل • ولكون التطبيق أيضاً يصبح مختبراً أو محكّاً للنظرية يؤدي الى تعديلها وربما أيضاً الى الغائها بالاضافة بالطبع الى كونه عاملا من عوامل تقدم المعرفة العلمية النظرية (الاكاديمية : المحض) ولكون مردوده العملي أحياناً لا يحصل إلا في المدى البعيد • غير ان البحث العلمي النظري لا بد أن يخضع لعملية التخطيط لا أن يسير بمختلف الاتجاهات والاهواء • وهو يحتاج بالطبع الى وقت طويل وتركيز وتفرغ واهتمام• ولا بد من أخذ ذلك بعين الاعتبار والسماح للراغبين فيه والقادرين عليه بالعمل مع التشجيع • مع العلم ان مجال البحث العلمي النظري ما زال بكراً رغم التقدم المذهل الذي حصل فيه منذ عهد كوبرنيكس وغاليلو وكبلر ونيوتن حتى عهد آينشتين وبور • وللتدليل على ذلك نشير الى صدور موسوعة علمية في بريطانيا عام ١٩٧٩ عنوانها مثير وطريف ترجمته « موسوعة الجهل »

The Encyclopedia of Ignrance:

Everything you ever Wanted to know about the Unknow, Pergamon, London, 1479.

وقد ساهم في كتابة موضوعاتها علماء بارزون في مختلف الاختصاصات بينوا ان ما هو مجهول لحد الآن في حقول المعرفة العلمية المختلفة ما زال هائلاً ومذهلاً .

ومما يساعد العلماء العرب المعاصرين على النهوض برسالتهم العلمية النظرية على أفضل وجه ـ بالاضافة الى ما ذكرناه ـ قيامهم بدراسة عميقة ومستوعبة لتاريخ العلماء المعاصرين ، وبخاصة الذين عرفوا بالصبر والجلد والمثابرة مثل : افوكادرو وبريستلي وبونكاربه وجورج تومسن ودالتن وتارارب وكافاندش ولافوازييه ومدام كوري ونيوتن من الغربيين ، ومثل الجاحظ والخليل بن أحمد والكسائي وقطرب (محمد بن المستنير) والأحمر وآخرين كثيرين من هذا الطراز في التراث العربي الاسلامي .

فالكسائي ـ الذي أصبح إمام الكوفيين في اللغة والنحو وأحد القراء السبعة المشهورين وأثيراً عند الرشيد ومؤدِّب الأمين والمأمون ـ إنما تعلم النحو على الكِبَر • وسببه ـ على ما يقول الرواة ـ انه جاء الى قوم من الهباريين وقد أعيا • فقال لهم : عَيَيْتُ • فقالوا « أتجالسنا وأنتَ تَلْحنَ !! » فقال : كيف لَحَنْتُ ؟ قالوا : إن كنتَ أردتَ من انقطاع من الحيلة والتحير في الأمر فقل : عَيَيْتُ (مخففاً) • وإن كنت أردت التعب فقل أعييتُ • فأنِفَ الكسائي من هذه الكلمة • ثم قام من توه على كِبَر سنه فسأل عمَّن يعلم النحو • فأُرْشِدَ الى مُعاذ الهرّاء فلَزِمه حتى أنْفَدَ ما عنده • ثم خرج الى البصرة فلقي الخليل وجلس الى حلقته • فقال له رجل من الأعراب : كيف تركتَ أسَدَ الكوفة وتَميمَها ـ وعندها الفصاحة ـ وجئتَ الى البصرة!! فقال للخليل : « من أين أخذت علمك هذا » ؟ قال : « من بوادي الحجاز ونجد وتِهامة • » فخرج ورجع

وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ.

وحدَّثَ هرون بن علي المنجِّم في أماليه عن أبي ندبة قال سمعتُ الفَرَّاء يقول : مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك الى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الاكفاء فكأني كنت طائراً يَغْرِفُ بمنقاره من البحر.

وقصة الكسائي الطريفة هذه تذكرنا بقصة زميله ونده سيبويه إمام البصريين في اللغة والنحو. وسيبويه الذي بدأ بدراسة الحديث والفقه لم يكن معنياً بالنحو على ما يقول الرواة . وعندما قُرِىءَ الحديث النبوي الشريف « ليس من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدَّرداء » اعترض سيبويه وقال : حقه أن يكون « ليس أبو الدرداء » . فقيل له : « لحنتَ يا سيبويه . ليس هذا حيث ذهبتَ . إنما « ليس » هنا استثناء » فقال : لا جَرَمَ سأطلب علماً لا تلحنوني فيه ، فأخذ النحو والأدب عن الخليل بن

أحمد وعن يونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش الكبير وعيسى بن عمر . وأصبح سيبويه . وكان المبرّد (إذا أراد إنسان قراءة سيبويه) يقول له : « أركِبتَ البحر !! » تعظيماً واستصعاباً .

أما الخليل بن أحمد ، الذي استخرج العروض وضبط اللغة ، فقد اشتهر بالانصراف التام والمطلق لعمله الفكري . وقد عاش على الكفاف لتحقيق هذا الغرض العلمي النبيل . وقد أشار الى ذلك تلميذه النّضر بن شُمَيْل بقوله « أكلتِ الدنيا بعلم الخليل وهو في خُصٍّ لا يُشْعَر به » وعندما بعث الى الخليل سليمان بن علي والي الأحواز لتأديب ولده أخرج الخليل لرسول سليمان خبزاً يابساً وقال : « ما دمتُ أجده فلا حاجة بي الى سليمان » . وذكر الرواة ان ابنه دخل يوماً اليه وهو منهمك بتقطيع بيت من الشعر فارتاب في أمره وخرج يصيح بأعلى صوته « لقد جُنّ أبي » .

وهناك أحاديث كثيرة تتعلق بشخصيات فذة من أبرزها ما يتعلق بقطرب (محمد بن المستنير) الذي لازم استاذه سيبويه ملازمة الظل للظل . وقد سُمِّيَ قُطْرُباً لأنه كان يُبكِّر الى سيبويه للأخذ عنه . فإذا خرج سيبويه سَحَراً رآه على الباب . فقال له يوماً : « ما أنتَ إلاّ قُطْرُب ليل » . وقُطْرُب هذا هو أحد أئمة النحو واللغة ومن جماعة النَّظّام في مذهب الاعتزال ومؤدِّب ولد أبي دُلَف العِجْلي وصاحب المصنفات الكثيرة .

وأمّا الأحمر — علي بن الحسن — صاحب الكِسائي ومؤدِّب الأمين فكان يحفظ الاربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد. وله تصانيف كثيرة . وعندما اختير الأحمر لتأديب الأمين وأُدخل الى الدار وفُرِشَ له البيت الذي هو فيه بفرش حسن استغرب من ذلك غاية الاستغراب . وكان الخلفاء — إذا أدخلوا مؤدِّباً الى أولادهم —

فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس الى منزله مع ما يوصل اليه ويوهب له . فلمَّا أراد الأحمر الانصراف الى منزله دُعِيَ له بحمَّالين فحُمِلَ ذلك كله معه . فقال : والله ما يسع بيتي هذا . وما لنا إلاّ غرفة ضيقة في بعض الخانات ليس فيها أحد غيري ، وإنما يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل . فأُمِرَ بشراء دار له وجارية . وحُمِلَ على دابة ووُهِبَ له غلام .

وختاماً نقول مع الشاعر مرة أخرى :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنَّها وكأنَّهم أحلام

نعم « انقضت تلك السنون وأهلها » من حيث الوجود المادي الضيق في الزمان والمكان . ولكنها « خالدة » وهم « خالدون » من حيث الوجود الثقافي الذي يتحدَّى الزمان والمكان ...

ملاحظات ختامية

ذكرنا ان جائزة نوبل وضعت في الأصل التأريخي في بداية هذا القرن لينالها « أفضل » عالم (بمقاييس لجنة التحكيم) في علم طبيعي من علوم معينة (اختارها نوبل في زمانه) يعود نفعها بنظره على البشرية جمعاء (باستثناء الرياضيات) • وقد أضافت لجنة التحكيم (بعد وفاة نوبل) طائفة من العلوم الانسانية (الاقتصادية والأدب) وجائزة لمن يكتب بحثاً أصيلاً عن السلم أو يقوم بجهود ملحوظة في هذا الباب •

وذكرنا أيضاً ان مقاييس اللجنة لاختيار «أفضل» المرشحين لنيل الجائزة السنوية في المجال العلمي قد أثارت جملة تساؤلات واعتراضات وجيهة بنظر أصحابها بالرغم من دقة تلك المقاييس ونزاهة أعضاء لجنة التحكيم • ويبدو ان أعنف تلك الاعتراضات (والطعون) أثارها علماء الطبيعة السوفييت اعتباراً من مندلييف عالم الكيمياء البارز في العهد القيصري الى الوقت الحاضر •

وبيَّن هؤلاء المعترضون ان عملية الانتقاء لا تخلو من جوانب ايديولوجية (ضمنية عارضة أو مقصودة) •

ونود أن نبيّن ـ في هذه المناسبة ـ أنه إذا كان مجال الاعتراض (والطعن) الموجّه الى لجنة التحكيم يبدو وجيهاً ـ في بعض الاحيان ـ رغم كون المقاييس العلمية تتصف ـ في الأعم الأغلب ـ بالموضوعية وتخلو من الجانب الايديولوجي فان مقاييس اختيار « أفضل » المتبارين في المجال الاقتصادي وفي حقل الأدب ونشر السلم بين الناس لا تخلو ـ في الأعم الأغلب ـ من النكهة الذاتية والطابع الايديولوجي العام • ومع ذلك فان الجوائز العلمية قد منحت للمستحقين ـ في أغلب الاحيان ـ بنظرنا • ومن هذه الناحية فان الجائزة كانت وما زالت وستبقى عامل حفز وتنشيط للعلماء في مختلف الاقطار والاختصاصات •

اهم المراجع

أ : بصدد جائزة نوبل :

1: Farber, F. Nobel Prize Winners in Chemistry, New York, Henry Schuman, 1975.

2: Fleming, D.H., editor, The Intectual Migration, Cambridge, Harvard University Press, 1969.

3: Halasz, N. Biography of Alfred Nobel, New York, Orion Press, 1976.

4: Knapp, R.H. The Young American Scholars, University of Chicago Press 1973.

5: Needham, J. The Nazi Attack on International Science, New York, Arno Press, 1975.

6: Born, M. My Life and My Views, New York, 1968.

7: The 6th International Congress of Logic, Methodology and Philosophy of Science, Hannover, 1979.

8: The 7th International Congress of Logic,

Methodology and Philosophy of Science, Salzburg, 1983.

9: Nobelstiftelsen:
Nobel: The Man and His Prize, University of Oklahoma Press, 1970.

ب : بصدد التراث :

١ : الدكتور نوري جعفر : مواطن الاناقة والجمال في اللغة العربية/ماثل للطبع

٢ : الدكتور نوري جعفر : بين الجاحظ وجورج برناردشو/ماثل للطبع

٣ : الدكتور نوري جعفر : آراء صائبة في التراث العربي الإسلامي/وزارة الثقافة والاعلام /١٩٧٩

٤ : الدكتور نوري جعفر : الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي/وزارة الثقافة والاعلام/١٩٧٥

محتويات بين الجاحظ وجورج برناردشو

محتويات جائزة نوبل

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

(٨٤١) لسنة ١٩٩٠

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد اسد



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

السعر نصف دينار